

التبليغ



سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني
الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

التبليغ

الطبعة الثانية: ١٤٣٥هـ الموافق لـ ٢٠١٤م

Attabligh

(The Message)

(Arabic)

Written by:

Ḥaḍrat Mirzā Ghulām Aḥmad (on whom be peace),
the Promised Messiah and Mahdi, Founder of the Aḥmadiyyah
Muslim Jamā'at.

First Published in UK in 2004

Second Edition Published in UK in 2014

© Islam International Publications Ltd.

Published by:

Islam International Publications Ltd.

Islamabad, Sheephatch Lane

Tilford, Surrey, GU10 2AQ

United Kingdom

Printed in the UK at:

Raqeem Press

Tilford

For further information please contact:

Phone: +44 1252 784970

Fax: +44 1252 781692

www.islamahmadiyya.net

ISBN: 978-1-84880-439-5

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفهرس

الصفحة	الموضوع
أ	كلمة الناشر
خ	مقدمة
١	إلى مشايخ الهند ومتصوفة أفغانستان ومصر وغيرها من البلاد
٣١	إلى مشايخ العرب وصلحائهم
٦٩	تتمة البيان في ذكر بعض السوانح ومنن الله المنان
٧٩	ذكر الدولة البريطانية وقيصرة الهند
٩١	الخاتمة
١٤١	ذكر بعض الأنصار شكرا لنعمة الله الغفار
١٥١	القصيدة
١٥٧	القصيدة
١٦١	القصيدة



كلمة الناشر

هذا الكتاب:

لقد ألف سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام كتابه "آئينة كمالات إسلام" (أي "مرآة كمالات الإسلام"، واسمه الآخر "دافع الوسوس") باللغة الأردنية، إظهاراً لكمالات الإسلام ورداً على وسوس القسوس وبراهمة الهندوس والملاحدة وبعض ضعاف المسلمين المنهزمين أمام الثقافة الغربية. فاقترح عليه صحابيه الجليل المولوي عبد الكريم السيالكوتي رحمته الله أنه ربما يكون من المستحسن لو ضم حضرته إلى هذا الكتاب رسالةً موجهةً إلى "المتصوفة" الغارقين في صنوف البدعات، والمعرضين عن تعاليم القرآن، والغافلين عن هذه الجماعة التي أقامها الله تعالى بيده. فاستحسن عليه السلام هذا الاقتراح، وقال بهذا الصدد ما تعريبه:

"كنت أنوي تأليف هذه الرسالة باللغة الأردنية، ولكن تبين لي - بناء على بعض الإشارات الإلهامية التي تلقيتها البارحة - أن هذه الرسالة يجب تأليفها بالعربية. كما تلقيت إهاماً بأن القوم لن يتأثروا منها إلا قليلاً، غير أن الحجة ستتم عليهم." (مرآة كمالات الإسلام،

الخزائن الروحانية ج ٤ ص ٣٦٠)

فألف حضرته عليه السلام هذا السفر العظيم وسماه "التبليغ" وضمه إلى كتابه هذا (آئنة كمالات إسلام)، كما نشره على حدة أيضاً. والمتصفح لهذا الكتاب سيجده قد صيغَ بلغة عربية أصيلة عريضة تُظهر جلياً مقدرة حضرته عليه السلام، وتبرز نقاء العين التي كان ينهل منها، ناهيك عما يفيض به الكتاب من معارف قرآنية فريدة وعلوم روحانية مبتكرة، وعاطفة جياشة تجاه النبي صلى الله عليه وسلم وأُمَّته، وتأثيرٌ بالغٍ لحالها المتردّي.

في مستهل الكتاب يخبر عليه السلام أن الله تعالى أقامه مجدداً ومحدثاً ومسيحاً موعوداً وناداه قائلاً:

"واصنع الفلك بأعيننا ووحينا، وأُنذِرْ فإنك من المأمورين"؛ وأخبره الله أن المسيح ابن مريم عليها السلام قد مات كغيره من الأنبياء. ثم يخاطب المسلمين قائلاً: "أيها الناس، اذكروا شأن المصطفى صلى الله عليه وسلم، واقرأوا كتب النصرارى، وانظروا إلى صولتهم على عرض سيد الورى. فلا تُظروا ابنَ مريم، ولا تعينوا النصرارى، يا وُلدَ المسلمين. أَلرِسُولِنا الموتُ، والحياة لعيسى؟ تلك إذا قسمةٌ ضيزى!!" كما يسوق الأدلة على موت عيسى عليه السلام، موضعاً المراد من نزوله في الأمة المحمدية. ويبين أن الدجال هم قُسُس النصرارى، وأن يأجوج ومأجوج هم الأمم الغربية.

ثم يردّ ﷺ على المشائخ الذين سارعوا إلى تكفيره بسبب دعواه. ثم يندد بالمتصوفة الغارقين في بدعاتِ البراهمة، نابذين وراء ظهورهم القرآنَ والسنةَ، ومتقاعسين عن الذود عن بيضة الملة. كما يدعو مشائخ الهند إلى أن يكفّوا عن تكفيره وتفسيقه، أو يباهلوه، ليميز الله الصادقَ من الكاذب.

بعده يوجّه كلامه إلى العرب بنبرة رقيقة مليئة بالحب والتقدير، ويخاطبهم قائلاً: يا أهلَ أرضِ النبوة، وجيرانَ بيتِ الله، وطلّيعَةَ الإسلام، وحملةَ القرآن، لا تصدّقوا ما يفشي ويفتري مشايخُ الهند ضدي، بل انظروا في دعواي وأدلة صدقي بأمانة وتقوى الله، وبالتالي صدّقوني وأيدوني غيرَةً على الإسلام وعلى عرضِ المصطفى ﷺ.

ثم يوضح لهم بأن الله لما رأى المنتصرين في هذا الزمن قد بالغوا في إيذاء رسول الله ﷺ واحتقاره، وأطروا ابنَ مريمَ إطرأً كبيراً، اشتد غضبه، فخاطبه وقال: إني جاعلك المسيح، لكي يعلم هؤلاء العُلّاءُ أن عيسى ما تفرّدَ كتفرّدَ الله، وأنه ﷺ قادر على أن يجعل أحداً من أمة نبيه المصطفى ﷺ عيسى آخر.

ثم يعرّف حضرته نفسه وعائلته، وظروفَ انتقالهم إلى قريتهم المسماة — قاديان، بالهند.

كما يذكر حال المسلمين التعيّسة بالهند في عهد السيخ الذين كانوا لا يسمحون للمسلمين بإقامة شعائر الإسلام، وأقلّها رفع الأذان، وقاموا بتحويل المساجد إلى اصطبلات الخيول وحظائر الأبقار. ثم جاء الإنجليز، ونجّوا المسلمين من ظلم السيخ.

ثم دعا الملكة البريطانية فكتوريا إلى الإسلام، وأشار عليها بأن تُكرم المسلمين فقال: "أَرْضِيهِمْ فَإِنَّكَ وَرَدْتَ أَرْضَهُمْ، وَدَارِيَهُمْ فَإِنَّكَ نَزَلْتَ بَدَارَهُمْ، وَآتَاكَ اللهُ مُلْكَهُمُ الَّذِي أَمَرُوا فِيهِ قَرِيبًا مِنْ أَلْفِ سَنَةٍ."

وبعدها يذكر كيف أُلقيَ في قلبه حب القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره، وكيف أُعطيَ معارف القرآن وحقائقه.

ثم يسجّل - ﷺ - بعض الرؤى والكشوف والأنباء الغيبية والإلهامات التي أنعم الله بها عليه، كما يذكر بعض أصحابه المخلصين. ويختتم الكتاب بثلاث قصائد رائعة، في حمد الله ﷻ ومدح المصطفى ﷺ، وبيان حالة المشائخ المعارضين.

هذه الطبعة:

لقد أُلّف سيدنا أحمد ﷺ زهاء خمسة وعشرين كتابًا باللغة العربية، ولكنها لم تصدر على شكل كتب منفصلة منذ فترة طويلة، وإنما نُشرت ضمن الطبعة المعروفة بـ "الخزائن الروحانية" التي

تتضمن على كل ما كتبه عليه السلام بالعربية والفارسية والأردية. فأمر إمامنا الراحل سيدنا مرزا طاهر أحمد - رحمه الله - الخليفة الرابع لسيدنا أحمد عليه السلام بإخراج الكتب العربية منها بصورة منفصلة.

ثمة أمور أخرى لا بد من التنويه إليها، وهي:

- ١- لقد اعتمدنا في إخراج هذا الكتاب على الطبعة الأولى الصادرة في زمن سيدنا أحمد عليه السلام عام ١٨٩٣م، والمحفوظة حالياً في مكتبة "الخلافة" المكتبة المركزية للجماعة بربوة، باكستان.
- ٢- ثمة هوامش وضعها سيدنا أحمد عليه السلام بنفسه، وكتب - عموماً - عند نهايتها: "منه" أي من المؤلف.
- ٣- وهناك هوامش أخرى قد أضافتها اللجنة العاملة على إخراج هذه الطبعة، وقد مُيزت عن الهوامش الأصلية بالخط المائل.

مهلاً أيها القارئ العزيز!

لقد ورد في هذا الكتاب كلمات وتعابير قد تبدو لأول وهلة غريبةً لقارئ العربية المعاصر، ولكنها من صميم العربية، كما سيتضح لاحقاً من خلال الشواهد التي سقناها من القرآن الكريم والسنة الشريفة وكتب التراث. ولربما كان المسيح الموعود عليه السلام قد استخدمها ليُظهر بعض ما حباه الله به من كنوز هذه اللغة المقدسة،

إفحاماً للمشايخ الذين نعتوه بالجهل التام بهذه اللغة المباركة. ومن هذه التعابير والأساليب على سبيل المثال لا الحصر:
 أولاً: تركُّ ظاهر اللفظ وحمله على المعنى، وهو كثير، كقوله
 عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- يا أهل أرض النبوة وجيران بيت الله العظمى (ص ٣٣) أي الكعبة العظمى.
 - أجد قلبي مائلاً إلى القرآن ودقائقها (ص ١٠٣) أي إلى صحيفة القرآن ودقائقها.

والأمثلة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم منها قول الله تعالى:
 - تلك القرى أهلكتناهم لما ظلموا (الكهف: ٦٠)
 ويقول التعالبي: "من سنن العرب تركُّ حكمٍ ظاهرٍ اللفظ وحمله على معناه كما يقولون: ثلاثة أنفس، والنفس مؤنثة، وإنما حملوه على معنى الإنسان أو معنى الشخص.... وقال الله ﷻ السَّمَاءُ منفطر به ﴿ فذكر السَّمَاءَ وهي مؤنثة، لأنه حمل الكلام على السقف". (فقه اللغة وأسرار العربية ص ٣٦٨ و٣٦٩، المطبعة العصرية، بيروت ١٩٩٩)

ونقل السيوطي عن خصائص ابن جني: "اعلم أن هذا النوع غورٌ من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح، وقد ورد به القرآن وفصيح

الكلام منثورًا أو منظومًا، كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصوُّر معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في الواحد. فمن تذكير المؤنث قوله **وَعَلَيْكَ** ﴿فلما رأى الشمس بازغةً قال هذا ربي﴾.. أي هذا الشخص (أو الجرم) " (الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي، الجزء الثاني، ص ١٠٢ الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٥).

ثانيًا: تخفيف الهمزة وقلبها، وهو كثير جدًا، كقوله **السَّلِيلَاتُ**:

- فنحن بريون منها (ص ١٤) أي بريئون جمع بريء.

- الذين يصيون في استقراء المسالك ولا يُخطون (ص ٨٨) أي لا يخطون.

ولتخفيف الهمزة وقلبها أشكال وقواعد كثيرة في العربية (انظر جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني، المجلد الثاني ص ١٢١ طبعة ١٩٩٤)

ثالثًا: ورود الأفعال النادرة الاستعمال، ومثاله قوله **السَّلِيلَاتُ**:

- "إن الله ربكم الرب الكريم الذي أعطاكم من كل نواذر الأرض وأملاً بيوتكم منها..." (ص ٦٥)
ومثاله في التراث:

عن سيف بن عميرة قال: حدثني من سمع أبا عبد الله يقول: من كظم غيظًا ولو شاء أن يُمضيه أمضاه أملاً الله قلبه يوم القيامة

رضاه. (الكافي، لثقة الإسلام الكليني، الجزء الثاني، كتاب الإيمان والكفر باب كظم الغيظ. دار الكتب الإسلامية طهران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥ هـش)

رابعاً: دخول "ال" على العلم، ومثاله قوله عليه السلام:

- أهذا الذي سُفك له دماءُ سِراةِ العربِ وعِظائمِ القريشِ بيدرٍ
(صفحة ١١٨).

ومن نظائره في التراث:

"... فبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن زمعة وسهيل بن عمرو قد جمعوا جماعة من القريش والأحابيش بالخدمة، ليقاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم..." (ثقات ابن حيان، سنة ٨، دخوله مكة، الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند، الجزء الثاني صفحة ٤٩) وأيضاً: "وأما الزبير بن عبد المطلب فكنته أبو الطاهر، من أجلّة القريش وفرسانها..." (المرجع السابق، السنة العاشرة: أولاد عبد المطلب صفحة ١٣٥)

ولا يسعنا هنا إلا أن نشكر ونطلب الدعاء لإخواننا الذين ساهموا في إخراج هذه الطبعة، وهم الأساتذة الأفاضل: مصطفى ثابت، موسى أسعد عودة، طه القزق، تميم أبو دقة،

المرحوم موسى سرور نايف، سيد عبد الحي شاه، المرحوم مولانا
عطاء الله كليم، مولانا جميل الرحمن رفيق، مرزا محمد الدين ناز،
رانا تصور أحمد خان، مقبول أحمد ظفر، رفيق أحمد ناصر، مولانا
مبشر أحمد كاهلون، عبد المجيد عامر، محمد طاهر نديم، وعبد
المؤمن طاهر، جزاهم الله أحسن الجزاء، آمين.

وأخيراً، نبتهل إلى الله - جل شأنه - أن يجعل هذا السفر
المبارك سبباً لهداية كثير من عباده رحمةً منه وفضلاً، آمين.

الناشر

مقدمة

بقلم: حضرة مولانا جلال الدين شمس رحمته الله

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم
وعلى عبده المسيح الموعود
بفضل الله ورحمته - هو الناصر

لم يتلقَّ سيدنا ميرزا غلام أحمد القادياني الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام علومَ الدين أو الأدب العربي في أي معهد عالٍ أو كتاب معروف أو لدي عالم شهير، وإنما درس بعض الكتب العربية على يد معلمين عاديين غير مميّزين. ولقد بين عليه السلام في أحد كتبه كيفية تعليمه حيث قال إنه لما بلغ السادسة من عمره اختار له والدُه المحترم معلِّمًا اسمه "فضل إلهي"، فعلمه قراءة القرآن الكريم وبعض الكتب الفارسية. وفي حدود العاشرة من عمره تتلمذ على معلِّمٍ آخر اسمه المولوي "فضل أحمد"، فدرس عنده كتبًا أخرى وقسطًا ضئيلًا من قواعد النحو. وحينما بلغ عليه السلام السابعة عشرة استدعى له والدُه إلى قاديان شيخًا آخر هو المولوي "سيد گل علي شاه

البطالوي"، فدرس منه بعضاً من كتب النحو والمنطق والطب وغيرها من العلوم المتداولة آنذاك. مكث المولوي سيد گل علي شاه في قاديان فترة من الزمن، ثم رجع إلى مدينته "بطالة" لبعض الأسباب. فاضطرَّ حضرته عليه السلام أن يمكث مع أستاذه في "بطالة" فترة من الزمن أصبح خلالها المولوي محمد حسين البطالوي زميلاً له في الدراسة* . وقد أشار الأخير إلى ذلك في مجلته "إشاعة السنة" حيث قال:

"لا يوجد بين معاصرنا أحد هو أعلم منا بأحوال وأفكار مؤلّف البراهين الأحمديّة". فوطننا واحد، بل كنا زميلين في الدراسة منذ مقتبل العمر حين كنا ندرس معاً "القطبي" و"شرح الملا". ومنذ ذلك الحين لا تزال المراسلات واللقاءات مستمرة بيننا إلى اليوم دون انقطاع."⊙

ويبدو أن سيدنا أحمد عليه السلام أيضاً أشار إلى الفترة ذاتها حين خاطب الشيخ البطالوي قائلاً:

قَطَعْتَ وَدَادًا قَدْ غَرَسْنَا فِي الصَّبَا وليس فؤادي في الوداد يقصّر*⊙

* انظر كتاب البرية، الخزانة الروحانية مجلد ١٣ ص ١٧٩-١٨١ الهامش

⊙ إشاعة السنة مجلد ٧ ص ١٦٩

⊙ البراهين الأحمديّة.. الجزء الخامس، الخزانة الروحانية مجلد ٢١ ص ٣٣٥

في تلك الحقبة من الزمن كانت مدينة "دهلي" تُعتبر أكبر مركز للعلوم الشرقية بالهند، حيث كان يقيم بها كبار العلماء المشاهير. من فيهم الشيخ المولوي نذير حسين الدهلوي المعروف بـ "شيخ الكل" والذي كان المولوي محمد حسين البطالوي يتباهى بكونه تلميذاً له. ولكن سيدنا أحمد عليه السلام لم يتلقَ أيَّ تعليم من أيِّ معهد أو شيخ من هؤلاء، اللهم إلا النزر اليسير الذي تعلّمه على يد المعلمين الثلاثة المذكورين سابقاً، أو ما درسه على يد والده المحترم من كُتب الطب. ولذلك ما كان لأحد أن يتصور أن حضرته قادر على تأليف كتاب أو إعداد مقال باللغة العربية، ناهيك عن كتابة مصنّفات ضخمة تفيض بالمعارف والحقائق بلسان عربي مبين، الأمر الذي حدا بالشيخ محمد حسين البطالوي وأمثاله ليشيعوا بين الناس ادّعاءهم ضد سيدنا أحمد عليه السلام أنه جاهل بعلوم اللغة العربية.

والحق أنه لم يكن بإمكانه عليه السلام - بالنظر إلى علمه الذي اكتسبه - أن يكتب مقالاً أو يعدّ كتباً أو يصنف كتاباً بلغة عربية فصيحة، ولكن ثقافته العربية كانت هبة إلهية أُعطيها كمعجزة جعلته قادراً على تأليف ما يربو على عشرين كتاباً ومقالاً بلسان عربي مبين، متحدياً بذلك المشائخ المعارضين أن يأتوا بمثل ما أتى به فيأخذوا منه الجوائز بعشرات الآلاف، ولكن ما كان لأحد منهم أن يجرؤ على قبول هذا التحدي.

هبة إلهية محضة:

ولقد أكد سيدنا أحمد عليه السلام بنفسه أن معرفته بالعربية هبة إلهية محضة، فقال ما نصُّه:

"إن كمالي في اللسان العربي، مع قلة جهدي وقصور طلي، آية واضحة من ربي، ليُظهر على الناس علمي وأدبي. فهل من معارض في جموع المخالفين؟ وإني مع ذلك علّمتُ أربعين ألفاً من اللغات العربية، وأُعطيْتُ بسطةً كاملة في العلوم الأدبية."*

وصرح في مكان آخر بما تعريبه:

"لقد أُعطيْتُ آيةَ الفصاحة والبلاغة بالعربية كظلٍّ لمعجزة القرآن الكريم. فلا أحدٌ يستطيع أن يبارزني في هذا المضمار."[⊙]

ثم تحدث سيدنا أحمد عليه السلام عن التأييد الإلهي الذي تلقاه أثناء الكتابة فقال ما تعريبه:

"وجدير بالذكر هنا أنني ألاحظ أن التأييد الإلهي الإعجازي يحالفني أثناء التأليف والكتابة بشكل خاص، حيث أشعر لدى كتابة شيء بالعربية أو الأردية كأن أحداً من داخلي يعلمني. وإن كتاباتي كلها، سواء العربية منها أو الأردية أو الفارسية، تتم كتابتها بطريقتين اثنتين: الأولى: أن سلسلة من الألفاظ والمعاني تتراءى لي على

* أنجم آتهم، الخزائن الروحانية مجلد ١١ ص ٢٣٤

⊙ ضرورة الإمام، الخزائن الروحانية مجلد ١٣ ص ٤٩٦

التوالي.متمتهى السهولة فأكتبها. وبالرغم من أنني لا أتجشم أي مشقة وعناء في مثل هذه الكتابة، إلا أن تلك الكلمات والمفاهيم في واقع الأمر لا تفوق قوتي العقلية كثيراً؛ بمعنى أنه ولو لم يرافقني التأيد الإلهي بشكل خاص فإنني أستطيع بفضل الله تعالى أن أكتبها ببذل شيءٍ من الجهد وكثيرٍ من الوقت، وذلك ببركة التأيد الإلهي العادي العام الذي هو جزء لا يتجزأ من خواص الفطرة الإنسانية، والله أعلم.

والقسم الثاني من كتاباتي يتم بطريق خارق للعادة كليةً. وذلك أنني حين أكتب شيئاً بالعربية مثلاً وأحتاج إلى بعض الكلمات التي يتطلبها السياق ولا أعرفها.. فإن الوحي الإلهي يهديني إليها، حيث يُلقي روح القدس تلك الكلمة في قلبي على شكل وحي متلو، ويُجريها على لساني وأنا في حالة غيبوبة. وعلى سبيل المثال، احتجتُ أثناء الكتابة بالعربية إلى ما يعني "كثرة العيال" ولم أعرف تلك الكلمة، وكان السياق يتطلبها، فألقي في قلبي فوراً لفظُ "الضَفَف" على صورة وحي متلو. كذلك احتجتُ أثناء الكتابة مثلاً إلى ما يؤدِّي معنى "لزوم الصمت غمًا وغمضًا" ولم أعرف الكلمة العربية، فتلقَى قلبي وحيًا يقول: "الوجوم". ونفس الحال بالنسبة للجُمْل العربية، فأثناء الكتابة بالعربية تَرُدُّ على قلبي مئاتُ الجُمْل على شكل وحي متلو، أو يُرينيها ملائِكُ مكتوبةً على ورقة؛ وتكون

بعض تلك الجمل آياتٍ من القرآن الكريم، وبعضها شبه آيات مع شيء من التصرف. وفي بعض الأحيان أعرف فيما بعد أن الجملة الفلانية التي كانت قد أُلقيت علي من عند الله تعالى كوحي متلوّ توجد أيضاً في كتاب كذا. وبما أن الله تعالى هو مالك كل شيء فله الخيار كله أن يُنزل على قلبي على سبيل الوحي جملةً رائعةً أو شعراً جميلاً سبق أن ورد أيضاً في أحد الكتب أو الدواوين. ❖

وهذا يؤكد أن ما ألفه سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام باللغة العربية الفصيحة البليغة إنما ألفه بتأييد إلهي، وليس بناءً على علم مكتسب. ومن أجل ذلك نجد العلماء المعارضين يتحاشون - من جهة - نزاله حين تحدّاهم أن يأتوا بمثل ما أتى به من كتب ومقالات، ومن جهة أخرى راحوا يثيرون ضد كتبه الاعتراضات السخيفة....

ولنعم ما ردّ به سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام على مثل هذه المزاعم حيث قال ما تعرييه:

"لقد طعن بعض الجهال حتى في القرآن الكريم معتمدين على قواعد نحوهم الزائف، ولكن كل هذه المطاعن سخيفة للغاية. والحق أن لا أحد سوى الله تعالى يملك علم اللغة الواسع. وإن اللغة كما تتغير إلى حد ما باختلاف المكان فإنها تتغير كذلك بتغير الزمان. فلو

❖ نزول المسيح، الخزائن الروحانية مجلد ١٨ ص ٤٣٤ - ٤٣٥

نظرنا إلى اللهجات العربية السائدة اليوم في مصر ومكة والمدينة وبلاد الشام وغيرها لوجدنا أنها تقضي على قواعد الصرف والنحو بأسرها، ومن الممكن أن تكون مثل هذه اللهجات موجودة من قبل أيضاً في زمن من الأزمان....

والحق أن لسان العرب - الذي هو المفتاح الحقيقي للصرف والنحو- هو محيط لا شاطئ له، ويصدق عليه تماماً ما قاله الإمام الشافعي رحمة الله عليه في مقولته الشهيرة: "لا يعلمه إلا نبي" .. أي من المستحيل لأي إنسان أن يحيط بتلك اللغة على شتى لهجاتها وأساليبها بشكل كامل إلا نبي.

إذن فهذه المقولة أيضاً تؤكد أنه ليس بوسع كل من هبَّ ودبَّ أن يمتلك ناصية هذه اللغة من كافة النواحي، بل الإحاطة الكاملة بها إنما هي من معجزات الأنبياء عليهم السلام.*
كما يقول حضرته عليه السلام:

"أيها الأغبياء، لو كان بإمكان الإنسان تأليف كتب علمية دينية مليئة بآلاف المعارف والحقائق بمجرد سرقة عبارات من الروايات الخيالية، فما الذي منعكم من اللجوء إلى هذا الأمر طوال هذه الفترة؟ ألا تجدون مثل هذه الكتب في الأسواق حتى تسرقوا الجمل منها؟ لماذا لزمتم الصمت على اللعنات التي دعونا بها عليكم في حالة

* نزول المسيح، الخزائن الروحانية مجلد ١٨ ص ٤٣٦-٤٣٧.

عدم قبولكم التحدي؟ ولماذا فقدتم القدرة على كتابة التفسير بلغة عربية فصيحة بليغة ولو لسورة واحدة، حتى تطلع الدنيا على مبلغ علمكم بالعربية. لو كانت نيتكم حسنة لجلستم حذائي في أحد المجالس لكتابة التفسير، لكي يسودّ في الحال وجه الكاذب العديم الحياء. ولكن، لا بأس، فليست كل الدنيا بعمياء، بل لا يزال فيها أولو الألباب.

لقد أعلنا مراراً وتكراراً أن تعالوا نبارز في مجال تأليف كتب بالعربية، ثم نحتكم إلى علماء العربية، فلو ثبت أن كتيبكم هو الأفسح والأبلغ فإن دعواي ستعتبر باطلةً تماماً. وها إني أقرّ وأعترف الآن أيضاً أنكم لو نازلتموني في ميدان كتابة التفسير بالعربية، ثم ثبت أن تفسيركم هو الأفضل والأعلى لفظاً ومعنى، فسوف أعطيك خمس روبيات على كل غلطة تعثرون عليها في تفسيري. فالأولى بكم - قبل أن تطيلوا عليّ ألسنتكم بالمطاعن السخيفة هكذا - أن تثبتوا علوّ كعبكم في العربية بكتابة التفسير العربي. ذلك أن الذي لا يكون ضليعاً بفن من الفنون فإن طعنه على رجالات ذلك الفن لا يستحق الاعتبار أبداً ...

ويعرف الأدباء أن ورود بضع جمل مقتبسة في كتاب يجوي آلاف الجمل والفقرات لا يقدر في قوته البلاغية أبداً، بل إن مثل

هذا الاقتباس يزيده قوةً وبلاغة. انظروا إلى التوارد المتواجد في شطر بيت واحد لدى اثنين من أصحاب المعلقات السبع:

حيث يقول أحدهما: يقولون لا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَمَّلِ
بينما يقول الآخر: يقولون لا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَلَّدِ
فبالله، أحبروني الآن أيهما سارق.

إن الجاهل لو سُمح له أن يكتب ولو بسرقة من كلام الآخرين فلن يقدر على كتابة شيء، لأنه محروم أصلاً من المقدرة الأساسية. أما الموهوب القادر على الكتابة المسترسلة دون أية صعوبة إذا كتب المواضيع العلمية الحكيمة المتضمنة على شتى المعارف والحقائق دونما عائق وفي عبارة بليغة مليحة، وإن اقتبس في كلامه وفي المحل المناسب آلافَ الجمل مما ورد في كتب الآخرين، فلا بد من اعتبار كلامه أمراً معجزاً دونما شك.^①

ويقول سيدنا أحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما تعريبه:

"إن معظم العائين المستعجلين، وبالأخص الشيخ محمد حسين البطالوي، الذين لا يتصفحون كتبنا العربية إلا بحثاً عن الأخطاء فيها، يعدّون - بسبب ظلمة التعصب فيهم - سهو الناسخ أيضاً ضمن قائمة الأغلط. ولكن الحق أنه لا يمكن أن يُعزى إلينا من الأغلط الصرفية والنحوية إلا ما لم يرد صحيحه في موضع آخر

^① نزول المسيح، الخزائن الروحانية مجلد ١٨ ص ٤٤٠-٤٤٣

من كتبنا. أما إذا وردت كلمة أو تعبير ما في مكان ما خطأً على طريق الصدفة بينما تكون تلك الكلمة نفسها قد وردت في عشرات الأماكن الأخرى بصورتها الصحيحة.. فلا مناص لهم - لو كان فيهم شيء من الإيمان والإنصاف - إلا أن يعزوا ذلك الخطأ إلى سهو الناسخ بدلاً من أن يعتبروه غلطاً منا. ولو أنهم أخذوا بعين الاعتبار العجلة التي أَلَّفنا فيها هذه الكتب لاعترفوا باقترافهم ظلماً عظيماً، ولعدُّوها تأليفات خارقة للعادة.

الحق إن القرآن الكريم وحده منزَّهٌ من السهو والخطأ، وأما البشر فلم يسلم كلام أحد منهم من هذا العيب، حتى إن السيد البطالوي نفسه يعترف بأن الناس استخرجوا أغلاطاً حتى من شعر امرئ القيس وكلام الحريري. فهل يمكن لهذا الذي عثر صدفةً على خطأً للحريري أو امرئ القيس أن يُعدَّ بمكانتهما؟*

(نقلًا عن الطبعة المعروفة بـ "الخزائن الروحانية" مجلد ٧ المقدمة ص ٧-٢٢ عام ١٩٥٩م مع شيء من التصرف لدى الترجمة)

* سرُّ الخلافة.. صفحة الغلاف الداخلية، الخزائن الروحانية مجلد ٨ ص ٣١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى مشايخ الهند

ومتصوفة أفغانستان ومصر

وغيرها من الممالك

الحمد لله الذي غلبت رحمته على غضبه في كل ما فعل وقضى،
وسبقت أنواره على كل ليل اكْفَهَرَ وسجى. هو الله الذي يأتي منه
فوج اليسر مع كلِّ عسرٍ عرا. يدعو إلى رحمته كل ورق يوجد
على الأشجار، وكل برق يبرق في الأحجار، وكل اختلاف ترون
في الليل والنهار، وكل ما في الأرض والسماء.

ومن آيات رحمته أنه أرسل الرسل، وبعث التُّدْرَ، وأسس
عمارات الهدى. ومن آيات رحمته العظيمة.. البدر الذي طلع من أم
القُرَى، في ليلة اسودت ذوائبها العظمي، فرفع الظلمات كلها،
ووضع سراجًا منيرًا أمام كل عين ترى. ما عندنا لفظٌ نشكر به
على مننه الكبرى. أيقظ العالمين كلهم، ونفى عن النائمين الكرى.
تلقى كلَّ همٍّ وغمٍّ للدين بطيب النفس لما انبرى، وسنَّ بذل النفس
لله لكل من يطلب المولى. فني في الله.. وسعى لله.. ودعا إلى الله..

وطهَّرَ الأرضَ حقَّ طهارتها، فيا عجبا للفتى! رب.. اجزِ منا هذا الرسولَ الكريمَ خيرَ ما تجزي أحدا من الورى. وتوفِّنا في زمرته، واحشرنا في أمته، واسقنا من عينه، واجعلها لنا السُّقيا. واجعله لنا الشفيح المشفع في الأولى والأخرى. رب.. فتقبل منا هذا الدعاء، وآونا هذا الذرى. رَبِّ.. يا رَبِّ.. صَلِّ وَسَلِّمْ وبارك على ذلك النبي الرؤوف الرحيم، وعلى كُلِّ من أحبه وأطاع أمره واتبع الهدى. أما بعد.. فاعلموا أيها الفقراء والزهاد.. ومشائخ الهند وغيرها من البلاد.. الذين وقعوا في البدعات والفساد، أنني أمرت أن أبلغكم أحكام الدين، وأذكركم ما نسيتم من أسرار الشرع المتين. وقد ألهمني ربي في أمركم وقال: إنهم ينادون من مكان بعيد. ويفعل ربي ما يشاء، وهو القاهر فوق القاهرين.

يا قوم.. اتقوا الله.. ولا تتبعوا أهواء قوم مبتدعين، واتبعوا الرسول النبي الأمي الذي هو رحمة للعالمين. واعلموا.. يا إخوان.. أني أرسلت محذِّثا من الله إليكم، وإلى كل من في الأرض، فاتقوه ولا تحتقروا المرسلين. واجتنبوا الرجس من البدعات، وإياكم والمحدثات، وكونوا عباد الله الصالحين.

يا قوم.. إنني عبد الله.. مَنْ عليّ برحمة من عنده، وعلمني من لدنه علم الأولين. وأرسلني على رأس هذه المائة، لأنذر قوما ما أنذر آبائهم، ولتستبين سبيل المجرمين. هو ناداني وقال قل لعبادي: إنني أمرت وأنا أوّل المؤمنين. وسماي باسم يناسب اسم قوم.. أرسلت

لإفحامهم وإزامهم.. وهم قوم المنتصرين، الذين علّوا في الأرض، واستضعفوا أهل الحق، وزينوا الباطل ليدحضوا به الحق، وكانوا قومًا مسرفين. وأهلكوا كثيرًا من الناس بتبليساتهم، وجمحوها في جهالاتهم، وقلّبوا للإسلام أمورًا، وجذبوا الناس إلى خزعبلاتهم، وجاءوا بسحر ميين. فنظر الله إلى قلوبهم، فوجدهم غالين دجالين ضالين مضلين. قد أفسدوا طرقهم كلها، وبغوا أمام الرب، وأرادوا أن يفسدوا أقوامًا آخرين. يلحسون المذاهب كما يلحس الثور خضرة الحقل، ويريدون علوًا وفسادًا، وليسوا من الخاشعين. فتّنت الناس فهمهم ودرايتهم، وكبر سرّ غوايتهم، وكانوا في علوم الدنيا وصنائعها من المستبصرين. أوقدوا من المفاسد نارًا، وأجرّوا من الفتن أنهارًا، ومكروا مكرًا كَبَّارًا، وبلغوا مقدارًا لن تجدوا مثله في مكائد المتقدمين. أجمعوا همتهم لاستيصال الإسلام، واستدروا لِقحتهم لتأليف قلوب اللئام، وأدخلوا أيديهم في قلوب المسلمين. وكان العلماء كمفلس في أعين أعيانهم، أو كمضغة تحت أسنانهم، وكان قومنا سُخْرَةَ المستهزئين. فأراد الله أن يفصل بين النور والظلمة، ويحكّم بين الرجس والقدس، ويمن على المستضعفين. ورأى فتنتهم بلاءً عظيمًا على الإسلام، ورأى أيّامهم كليلًا مخوفةً من الإظلام، ووجدهم في الفتن قومًا عالين. ما كان فتنة مثل هذا من يوم خلق آدم إلى يومنا هذا.. بل إلى يوم الدين. ومع ذلك تملكوا وعلّوا في الأرض، وأثروا وأكثروا، وأملأوا الأرض كثرة،

وزادوا هيبة وشوكة، وبارك الله في أموالهم وأولادهم، وعلومهم وفنونهم وصنائعهم، وأعانهم في إرادتهم وأفكارهم وأنظارهم، وفتح عليهم أبواب كل شيء.. ابتلاءً من عنده.. فعموا وصموا وكانوا من المُعجِبين.

وأزاع الله قلوب علمائنا وفقرائنا، وأطفأ نور قلوبهم حتى عادوا إلى الجهالة التي أخرجوا منها بما كانوا يفسدون في الأرض، وما كانوا من المصلحين. ففنوا في الأهواء، واستكانوا في الآراء، ووهنوا وكسلوا، وذرت ريح الجهل تراهم، وسلبت قواهم كلها فصاروا كالميتين.

ونظر الربّ إلى أمرائنا فوجدهم المسرفين الغافلين، المعرضين عن التقوى والحق، والظالمين العادين. فباعد بينهم وبين شهواتهم، وباعدهم عن الأملاك التي ارتبطت قلوبهم بها، وأخرج من أيديهم أكثر أملاكهم وأراضيهم، وتبر كل ما كانوا عليها كالعاكفين. وقشفت الوجوه من آفات الجوع والبؤس، وخمدت نار المتمردين، وقصمت عظامهم، وحطمت سهامهم، ليعلموا ليأثمهم أنهم كانوا من المتمردين.

وأحاطت شصية المنتصرين وشرك سراتهم من سمك البحر إلى سماك السماء، وجرت فلكهم في بحر الإضلال مواخر، ووقعت رَحفة من عظمة شأنهم على كل ما في الأرض.. فخرّوا لهم ساحدين. وما بقي من عش ولا كن ولا وكر إلا دخلت فيه أيدي الصيادين. ونقلوا خطواتهم إلى الاعتداء.. حتى نظروا في صحف

الرسل ففسروها برأيهم، وزادوا فيها أشياء، ونقصوا منها، كأنهم الأنبياء ومن المرسلين. ثم مالوا إلى ملكوت الله وأفعال الألوهية.. فدخلوا في أمور ما كان لهم أن يدخلوا فيها، وفرحوا بتدبيرهم، وحسبوا أنفسهم قادرين على كل شيء كأنهم إله العالمين. واستغنوا وعتوا عتواً كبيراً، وقطعوا بكرهم وكفرهم وأنانيتهم آذان دهرين. فهذا هو المراد من ادعاء النبوة وادعاء الألوهية، فليفهم من كان من الفهمين. وفسدت الأرض بفسادهم، وسارع الناس إلى زينتهم ورشادهم ولمعان فِرْصادهم، وثريدهم وجتتهم وآرادهم، إلا ما شاء الله.. يحفظ من يشاء.. وهو خير الحافظين. وهاج طوفان عظيم على أعمال الناس وعقائدهم، وطهارتهم وتقواهم، ونياقتهم وخطراتهم، وأفعالهم وأقوالهم، وأبصارهم وآذانهم، ودينهم وإيمانهم، وأخلاقهم وسنن إحسانهم، ومروّتهم ورثانهم، وأبنائهم وإخوانهم، وبناتهم ونسوانهم، وزهدهم وعرفانهم، وأيديهم ولسانهم، وهبت ريح الفساد من كل طرف، وأحاطت الظلمة على كل جهة، وزلزلت الخلق زلزالاً شديداً، وطار حواسهم، وكانوا كالمبهوتين. وكانوا لا يدرون أعذاب أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رحماً، وكانوا لسر الغيب منتظرين. وانشقت فلكهم في بحر الزيغان، وهاجت الأمواج من كل طرف، وكادوا أن يكونوا من المغرقين.

فناداني ربّي من السماء.. أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا، وقم وأنذر فيّئك من المأمورين، لتنذر قومًا ما أنذر آبائهم، ولتستبين

سبيل المجرمين. إنا جعلناك المسيح بن مريم، لأتّم حجّتي على قوم متنصّرين. قل هذا فضل ربّي، وإني أجرد نفسي من ضروب الخطاب، وأمرت من الله وأنا أوّل المؤمنين. إنه يرى الأوقات ويعلم مصالحها، وإن من شيء إلا عنده خزائنه. إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. قل أتعجبون من فعل الله؟ قل هو الله أعجب العجيبين! يرفع من يشاء، ويضع من يشاء، ويُعزّ من يشاء، ويذل من يشاء، ويجتبي إليه من يشاء، لا يُسأل عمّا يفعل وهم من المسئولين. قل الحمد لله الذي أذهب عني الحزن، وأعطاني ما لم يعط أحد من العالمين. وقالوا كتابٌ ممتلئ من الكفر والكذب. قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين. وادع عبادي إلى الحق، وبشّرهم بأيّام الله، وادعهم إلى كتاب مبين. إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، والله معهم حيثما كانوا.. إن كانوا في بيعتهم من الصادقين. قل إن كنتم تحبون الله فاتّبعوني يحببكم الله، ويجعل لكم نوراً، ويجعل لكم فرقاناً، ويجعلكم من المنصورين. إن الله مع الذين اتقوا، وإن الله مع المحسنين.

هذا ما ألهمني ربّي.. في وقتي هذا ومن قبل.. ينعم على من يشاء وهو خير المنعمين. وإنّ له عبادةً من الأولياء يسمّون في السماء تسمية الأنبياء بما كانوا يشاهونهم في جوهرهم وطبعهم، وبما كانوا يأخذون نوراً من أنوارهم، وكانوا على خلقهم مخلوقين. فيجعلهم

الله وارثهم، ويدعوهم بأسماء مورثيهم، وكذلك يفعل وهو خير الفاعلين. وللأرواح مناسبات بالأرواح لا يُدرى دقائقها، فالذين تناسبوا يُعدّون كنفس واحدة، ويطلق أسماء بعضهم على بعض، وكذلك حرت سنة الله، وذلك أمرٌ لا يخفى على العارفين. إن الله وتر يحب الوتر، ولأجل ذلك قد استمرت سنته أنه يرسل بعض الأولياء على قدم بعض الأنبياء، فمن بعث على قدم نبيّ يسمّى في الملائكة الأعلى باسم ذلك النبي الأمين، ويُنزل الله عليه سرّ روحه، وحقيقة جوهره، وصفاء سيرته، وشأن شمائله، ويوحّد جوهره بجوهره، وطبيعته بطبيعته، واسمه باسمه، ويجعل إراداته في إراداته، وتوجهاته في توجهاته، وأغراضه في أغراضه، ويجعلهما كالمرايا المتقابلة في الإنارة والاستنارة، كأنهما شيء واحد.. وذلك سرّ التوحيد في أرواح الطيّبين. فهذا هو السرّ الذي سَمّاني الله برعايته المسيح الموعود، فتفكروا في السرّ ولا تكونوا من المستعجلين. ما كان الله أن يرسل نبياً بعد نبينا خاتم النبيين، وما كان أن يحدث سلسلة النبوة ثانياً بعد انقطاعها، وينسخ بعض أحكام القرآن، ويزيد عليها، ويُخلف وعده، وينسى إكماله الفرقان، ويُحدث الفتن في الدين المتين.

ألا تقرؤون في أحاديث المصطفى.. سلّم الله عليه وصلّى.. أن المسيح يكون أحداً من أمته، ويتبع جميع أحكام ملّته، ويصلّي مع المصلّين. وقد ملئ القرآن من آياتٍ تشهد كلها على أن المسيح ابن

مریم قد تُوفِّي، ولحق بإخوانه إبراهيم وموسى، وأخبر بوفاته رسول الله ﷺ وهو أصدق المخبرين. ألا تقرؤون في القرآن: ﴿يا عيسى إني متوفيك﴾،¹ ﴿فلما توفيتني﴾؟² ألا تقرؤون: ﴿ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾؟³ ألا تقرؤون في صحيح الإمام البخاري: متوفيك: مُميتك؟ فما بقي بعد هذه الشهادات محل شك للمشككين. وبأي حديث تؤمنون بعد آيات رب العالمين؟ ألا ترون أنه ﷺ قال في علامات المسيح وفي بيان وقت ظهوره إنه يكسر الصليب، ويقتل الخنزير؟ فاعلموا أنه ﷺ أشار إلى أنه يأتي في وقت يُعبد الصليب فيه، ويؤكل الخنزير بكثرة، ويكون لعبدة الصليب غلبة في الأرضين. فيأتي ويكسر غلبتهم، ويدقّ صليبيهم، ويهدم عماراتهم، ويجرّب مرتفعاتهم بالحجج والبراهين.

أيها الناس! اذكروا شأن المصطفى.. عليه سلام رب السماوات العلى.. واقرؤوا كتب المنتصرين، وانظروا صولتهم على عرض سيد الورى، فلا تُطروا ابن مریم، ولا تعينوا النصارى يا وُلد المسلمين. أرسولنا الموت والحياة لعيسى؟ تلك إذا قسمة ضيزى! ما لكم لا ترجون وقاراً لسيد السيدين؟ أتجادلونني بأحاديث ورد فيها أن المسيح سينزل، وتنسون أحاديث أخرى، وتأخذون شقا وتتركون شقا آخر،

¹ سورة آل عمران: ٥٦. ² سورة المائدة: ١١٨. ³ سورة آل عمران: ١٤٥.

وتذرون طريق المحققين؟ ولا يغرنكم اسم "ابن مريم" في أقوال خير الورى، إن هو إلا فتنة من الله ليعلم المصيبين منكم وليعلم المخطين، وليجزى الله الصابرين الظانين بأنفسهم ظن الخير، ويجعل الرجس على المعتدين. وقد خلت سننه كمثل هذا، فليفتش من كان من المتفتشين.

لقد كان في إيليا وقصة نزوله نظيرٌ شاف للطالين. فاقروا الإنجيل وتدبروا في آياته بنظر عميق أمين. إذ قالت اليهود: يا عيسى.. كيف تزعم أنك أنت المسيح.. وقد وجب أن يأتي إيليا قبله كما ورد في صحف النبيين؟ قال: قد جاءكم إيليا فلم تعرفوه، وأشار إلى يحيى وقال: هذا هو إيليا إن كنتم موقنين. قالوا: إنك أنت مُفتر.. أتنتحُ معنى منكراً؟ ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين. قال: يا قوم.. ما افتريتُ على الله، لكنكم لا تفهمون أسرار كتب المرسلين.

تلك قضيةٌ قضاها عيسى نبي الله، وفي ذلك عبرة للمسلمين. ما كان نزول بشر من السماء من سنن الله، وإن كان فأتوا بنظير من قرون خالية إن كنتم من المهتدين. وما كان فينا من واقع إلا خلا له نظير من قبل، وإليه أشار الله وهو أصدق الصادقين ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾* . وقد مضت سنة الأولين. خصمان تخالفا في رأيهما.. فأحدهما

متمسك بنظير مثله، والآخر لا نظير عنده أصلاً.. فأبي
الخصيمين أقرب إلى الصدق؟ انظروا بأعين المنصفين.
يا أيها الناس، التُّقى التُّقى.. النهى النهى.. ولا تتبعوا أهواء
فيج أعوج، واذكروا ما قال المصطفى. لقد جئتمكم حكماً عدلاً
للقضايا وجب فصلها، فاقبلوا شهادتي، إني أوتيت علماً ما لم تؤتوه
وما يؤتى. وإن كنتم في شك من أمري فتعالوا ليفتح الله بيننا
وبينكم، وهو الرب الأقدر الأقوى. إنه مع الصادقين.. يسمع
ويرى. وبشرني في وقتي هذا، وقال: يا عيسى سأريك آياتي
الكبرى. فأبيّ نهج الفصل أهدى من هذا إن كنتم تطلبون الهدى؟
وقد جئت حين سجدى الدجى، وغابت الحق من الوجى، وكانت
تلك الأيام أيام الوباء. قد هلكت فيه أمم كثيرة، وكان الإسلام
نضو سُرّى، ما كان له من موئل ومأوى، كخابط ليلة ليلاء،
وكان الطالبون كذي جماعة جوي الحشا، مشتمل على الطوى.
فأوحى إليّ ربّي ما أوحى. فنهضتُ ملبياً للنداء، فأنبأني ربّي مما
سيأتي وما مضى. وصافاني ونجاني من كل هم وبلاء، وبشرني بغلبي
على كل من خالف وأبى. وأوحى إليّ بأنني غالبٌ على كل خصيم
أعمى. وقال: إني مهين من أراد إهانتك، وأحسن إليّ بآلاء لا تعد
ولا تحصى. وقال: إني معك حيثما كنت، وإني ناصرٌك، وإني بُدُّك
اللازم وعَضُدُّك الأقوى. وأمرني أن أدعو الخلق إلى الفرقان ودين
خير الورى، الذي سن التبليغ وحث على الجهد وحمل الأذى.

لستُ نبيّ، ولكن محدّث الله وكليم الله لأجدد دين المصطفى. وقد بعثني على رأس المائة، وعلمني من لدنه علوم الهدى. وإن كنتم تشكون في أمري، وتحسبون أنكم على حق في مخالفتي، وتظنون قربتكم أعظم من قربتي، فهذا أنا قائم في موطن المقابلة لرؤية آيات صدقكم وإراءة برهاني على الاصطفاء. وأعزم عليكم بالله الذي هو خالق الأرض والسماء، أن لا تمهلوني طرفة عين، وجاهدوا لهزيمة حق جهادكم، واستفتحوا لأنفسكم من الله الأعلى. وحرام عليكم أن تتعاسوا وتستأخروا ولا تبرزوا في مكان سوى. واجتمعوا عليّ كلكم وارموا كل سهام من قوس واحد، فستعلمون من هلك ومن حفظه الله تعالى وأبقى. وإن تقبلوني فالله يبارككم، ويجعلكم مثمرين مباركين آمنين، ويردّ إليكم أيامكم الأولى، وتسكنون في أمان الله، ويتوب إليكم ربكم ويرضى، وكل سوء يتحوّل عنكم وينتهي.

يا قوم، إنّي لستُ كافراً كما يفشي ويفتري عليّ علماء السوء، وما افتريت شيئاً على ربّي، وما أقول لكم من عند نفسي، وقد خاب من افتري. وإني أعتقد من صميم قلبي أنّ للعالم صانعاً قديماً واحداً قادراً كريماً مقتدرًا على كل ما ظهر واختفى.

وأعتقد أنّ لله ملائكةً مقرّبين، لكل واحد منهم مقام معلوم، لا ينزل أحدٌ من مقامه ولا يرقى. ونزولهم الذي قد جاء في القرآن ليس كنزول الإنسان من الأعلى إلى الأسفل، ولا صعودهم

كصعود الناس من الأسفل إلى الأعلى، لأن في نزول الإنسان تحولا من المكان، ورائحةً من شقّ الأنفس واللغوب، ولا يمسهمْ لغبٌ ولا شقٌّ، ولا يتطرق إليهم تغيرٌ، فلا تقيسوا نزولهم وصعودهم بأشياء أخرى، بل نزولهم وصعودهم بصبغ نزول الله وصعوده من العرش إلى السماء الدنيا، لأن الله أدخل وجودهم في الإيمانيات، وقال: ﴿ما يعلم جنود ربك إلا هو﴾*، فآمنوا بنزولهم وصعودهم ولا تدخلوا في كنههما، ذلك خيرٌ وأقرب للتقوى. وقد وصفهم الله بالقائمين والساجدين والصابغين والمسبحين والثابتين في مقامات معلومة، وجعل هذه الصفات لهم دائمة غير منفكة، وخصهم بها؛ فكيف يجوز أن يترك الملائكة سجودهم وقيامهم، ويقصموا صفوفهم، ويذروا تسبيحهم وتقديسهم، ويتنزلوا من مقاماتهم، ويهبطوا الأرض، ويخلوا السماوات العلى؟ بل هم يتحركون حال كونهم مستقرين في مقاماتهم، كالملك الذي على العرش استوى. وتعلمون أن الله ينزل إلى السماء في آخر كل ليل، ولا يقال إنه يترك العرش ثم يصعد إليه في أوقات أخرى، فكذلك الملائكة الذين كانوا في صبغة صفات ربهم، كمثل انصباع الظلّ بصبغة أصله، لا نعرف حقيقتها ونؤمن بها. كيف نشبه أحوالهم بأحوال إنسان نعرف حقيقة صفاته، وحدود خواصه، وسكناته وحركاته، وقد

* سورة المدثر: ٣٢

منعنا الله من هذا وقال: ﴿ما يعلم جنود ربك إلا هو﴾، فاتقوا الله يا أرباب النهي.

ونعتقد.. كما كشف الله علينا.. أن عيسى ابن مريم قد تُوفي ولحق بإخوانه النبيين الصالحين، ورفع إلى مكان كان فيه يحيى. ونعتقد أن رسولنا خير الرسل، وأفضل المرسلين، وخاتم النبيين، وأفضل من كل من يأتي وخلا. هو سلكني بنفسه المباركة، ورباني بيده الطاهرة المُطهرة، وأراني عظمته وملكوته، وعرفني بأسراره العُليا.

ونعتقد أن كل آية القرآن بحر مَوَّج، مملوّ من دقائق الهدى. وباطل ما يعارضه ويخالف بيانه من قصصٍ وعلوم الدنيا والعقبى. ونعتقد أن الجنة حق، والنار حق، وحشر الأجساد حق، ومعجزات الأنبياء حق.

ونعتقد أن النجاة في الإسلام واتباع نبينا سيّد الورى. وكل ما هو خلاف الإسلام فنحن بريون منها، ونؤمن بكل ما جاء به رسولنا ﷺ وإن لم نعلم حقيقته العُليا. ومن قال فينا خلاف ذلك فقد كذب علينا وافترى. فاتقوا الله ولا تصدّقوا أقوال كل ضنينٍ مهين.. سعى إليّ كُتّيبين، ومال إلى إكفاري بفيلولة رأيه، وأتبع الهوى. واعلموا أن الإسلام ديني، وعلى التوحيد يقيني، وما ضل قلبي وما غوى. ومن ترك القرآن وأتبع قياساً.. فهو كرجل افترس

افتراساً.. ووقع في الوهاد المهلكة، وهلك وفنى. والله يعلم إني عاشق الإسلام، وفداء حضرة خير الأنام، وغلّام أحمد المصطفى.

حُبّ إلي منذ صبوت إلى الشباب، وقادني التوفيق إلى تأليف الكتاب، أن أدعو المخالفين إلى دين الله الأجلّي. فأرسلتُ إلى كل مخالف كتاباً، ودعوتُ إلى الإسلام شيخاً وشاباً، ووعدتُ أن أري الآيات طُلاباً، ووعدتُ لهم نَشَباً كثيراً إن عجزتُ جواباً. فشاهت الوجوه وأبأ، وما جاء أحدٌ وما أتى. ولم يجيبوا النداء، ولا فاهوا بيضاءً ولا سوداءً، وما ركض أحد منهم وما دنا.

فهذه آيةٌ من آيات صدقي وسدادي لقوم يتفكرون. من عرفني فقد صدقني، ومن لم يعرفني فلم يصدقني، ومن جاهد في أمر يكشف الله ذلك الأمر عليه، فطوبى لقلوب هم يجاهدون. لن يُحرز جنى العود بالعود، ولا يملك فتيلاً من لا يؤثر سيلاً، والذين يطلبون فهم يجدون.

فيا قوم.. لا تكفروني بغير عرفان، ولا تكذبوني بغير سلطان، ولا توسعوني سباً، ولا توجعوني عتياً، ولا تدخلوا في غيب الله، ولا تصروا على ما لا تعلمون. عسى أن تكفروا رجلاً وهو مؤمن عند الله، وعسى أن تفسقوا أحداً وهو صالحٌ عنده، والله يرى قلوب عباده وأنتم لا تُبصرون. يا قوم.. إن كنت على باطل فالله كاف لإزعاجي، وإن كنت على حق فأخاف أن تؤخذوا بما تعتدون.

يا متصوفي الهند.. إن أهل الصلاح منكم قدر قليلٌ، وأكثركم مبتدعون. وفيكم الذين مالوا إلى الرهبانية، وتركوا ما أمروا به، ولا يخافون الله ولا يبالون. وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، وإلى رياضات البراهمة يسارعون. ويؤدمون سنابك سوابقهم، ويعقرّون مناسم رؤسهم، ويحسبون أنهم يُحسنون. يقولون آمنا بالقرآن، ولا يؤمنون به، ويقولون نتبع السنن، ولا يتبعونها، وهم إلى طرق الغي منقلبون.

إن الذين وجدوا الحق فهم قومٌ يقطعون تعلق الأشياء مع وجود تعلقها، ويتبتلون إلى الله بنهج كأنه لا عرس لهم ولا غرس، ولا عنس لهم ولا فرس، ويؤثرون الله على كل ولد وأهل ومال، فهم الموقّقون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة، وأولئك هم المهتدون.

ومنكم من أخذ إلى الإباحة، واتبع النفس في جذباتها، وفلّى مجاهلاً الهلاك والمَنون. وأضاع أساوده وزاده ومزوده، ونسي منزله ومناحله، وأغضب ربه، وقصفت الريح فُلكه، ودخل في الذين هم مغرقون. ألا يرى أن استصحاب الزاد من أصول المعاش والمعاد، وقد سنح له إربُّه إليها في الدنيا، ولا يعمل فيها من كسب المال ومن كل ما يحجّون. فسوف يعلم لما يشرع في القلعة أنه يرحل بأيّد صفر إلى دار دائمة الرُّجون.

ومنهم من أخلط عملاً صالحاً بغير صالح، ومزج الكفر بالإيمان، وركب اليقين بالظنون، فأجمع على الجنوح إلى هوى النفس، ووقع من شاطئ المرسى في بحر الظلم والركون، وأوقع نفسه في مسالك الهلك، وبوادي التبار، وفعل بنفسه ما لا يفعله المجنون.

يا حسرة عليهم! أحدثوا في الدين أشياء، وتبع كل منهم ما شاء، أف لهم ولما يبدعون. وكم من بدعة ألزموا طائرها في عنقهم وهم بمفسادها فرحون. يحافظون على بدعات البراهمة، وشعار الكفرة الفجرة، وأخذوا كل طريقٍ من طرقهم، من قبيل إلقاء التوجه، وإجراء القلب، والعكوف على القبور وطوافها والسجودات لأهلها، وهم بها يفخرون. وما كان عبادتهم إلا تصوّر صور مشايخهم في الصلاة وخارجها، وباللّٰه هم يشركون. ويفضّلون طرائقهم وطاغوتهم على النبي ﷺ، ويقولون: إنّنا ما رأينا النبي، وما نعلم القرآن، إنّ نبينا إلا شيخنا، وملفوظاته قرآننا، وإنا لمصيبون. يخادعون الله والذين آمنوا، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون. في قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرضاً، ولهم عذابٌ أليم بما كانوا يكذبون. تراهم عاري الجِلْدَة من لباس التقوى وصدق الإقدام، وبادي الجُرْدَة من شعار الإسلام، وفي عيشتهم ووجوههم علمٌ على ما يكتُمون. جوّهم مزمهرٌ، ودجّتهم مكفهرٌ، وفهمهم كالدواب، وزهدهم كملامح السراب، وهم يحسبون أنهم عارفون. تَبَّاءَ لعِيشَتهم.. هم ثعالب في المعاملات، وذياب عند المخاصمات،

يفرحون بعطاء الناس، وهم عند المنع وترك الخدمة يعبسون. يأوون إلى وفر، ويُعرضون من يد صفر، ويشتكون.

يحبسون أنهم صاحب دهاء، وما هم إلا كإناء خالٍ من ماء، ويُسرّون بهذيان المبطين المطرين ولا يفهمون. والسبيل إلى سبّهم وتقدير معارفهم وحبرهم ونور قلوبهم سهل هين.. وهو أن يُعرض القرآن الكريم عليهم ويُسألون. فإن الفرقان مملوٌّ من عجائب الأسرار ودقائقها ولطائفها، ولكن لا يمسه إلا المطهرون، ولا يستنبط سرّه، ولا يطلع على غموض معانيه إلا الذي أصابه حظٌّ من صبغة الله، فطوبى للذين يُصبغون. وهم قوم شغفهم الله حبًّا، وطهرهم نفسًا، وزكاهم وجلّاهم، ورفعهم إليه، فهم في ذكر حبّهم دائمون. جُذبوا إلى الحق بكل قلوبهم، وفنوا في ذكر محبّتهم، وبذلوا روحهم، وقضوا نحبهم، وصاروا بكل وجودهم لله، وهم عن أنفسهم منقطعون. ما بقي تحت رداّهم إلا الله، تحسبهم باقين موجودين وهم فانون. جرّدوا سيوفًا جديدة على أنفسهم سفاكين، وانسلخوا منها كما ينسلخ الحيّة من جلدها، ويرى الله صدقهم ووفاءهم، وهم عن أعين الناس غائبون. أعجب الملائكة سلّمهم وإسلامهم، وثباتهم وتعلقهم بحبّهم، وجهال الناس عليهم يضحكون. يؤذونهم بهتانات، ويكفرونهم بمفتريات، ولا يعلم سرهم إلا الله، وهم تحت قبايه مستورون.

والذين آثروا الحياة الدنيا واطمأنوا بها، وفسقوا وأفاحوا دم التقوى، وَقَفُوا ما لم يكن لهم به علم، فسيعلمون أي منقلب ينقلبون. يخافون الخلق ولا يخافون الله، وهم على أنفسهم شاهدون. منَعهم شَم أنوفهم وعظمة عمائمهم من قبول الحق، فأعرضوا عن داعي الله وهم يعلمون. كل أحد منهم يُسَحِّتُ السُّنَّةَ ويبري، ويدعو البدعات ويقرى، ويقول: انظروا زهدي وفقري، ولا يدرون شيئاً ويحسبون أنهم واصلون. وينظرون إلى الخلق، وإلى الله لا ينظرون. لا يرون غارات الرزايا على الإسلام، ويعكفون على أهوائهم كعكوف المشركين على الأصنام ولا يبالون. عفت دار الدين وهم غافلون، وغاض در الإسلام وهم نائمون، وبار سعر الشرع وهم يستبشرون.

لا يدرون نار العشق وحرارة الذكر وقبس الفكر، غير التضحي واصطلاء الجمر، ويجبون أن يُحَمَّدُوا بما لا يفعلون. يراءون أنهم نَضُو مجاهدات، وهم عاري المطا من لباس تقاة، ويذكرون تهجداتهم وهم للفرائض تاركون. لا نصيب لهم من كلام رب غفور، ولا من خير مَأْثُورٍ، وبأشعار الشعراء يتذاكرون. صَبَّتْ على الإسلام مصائب ونوازل وهم غافلون. لا يواسون مقدار ذرة وفي الشهوات هم مستغرقون. وإني أراهم كمازح بالشرعية الغراء، ومستهزئ بأحاديث إمام الورى. يؤثرون أبيات الشعراء على آيات كلام الله، وبها يفرحون ويرقصون، ويسمعون القرآن فلا يكون ولا

يتضرعون. قوم خرجوا من طريق الاهتداء، وآثروا الظلمة على الضياء، يدبّون في الليلة الليلية، كالناقة العشواء، ما لهم حافٌّ ولا رافٌّ، ويذهبون أين يشاءون.

ووالله إني أرى نفوسهم قد فسدت، وشابهت أرضًا خربةً، وبالْحشائش الخبيثة ملئت، يزحفون كزحف البهائم ولا يستقيمون. الإفراط عادتهم، والاعتساف سيرتهم، وآثار البراهمة الضالة مبلغ عرفانهم، وأشعار الشعراء وقود وجدهم وغذاء جنانهم. تركوا ربهم والتصقوا بالدنيا، وجعل الله على قلوبهم أكنة فهم لا يفقهون. صنعوا لأنفسهم مآزر من أصحاب القبور، وأضاعوا بركات ذرى الرب الغفور، ويفسقون ولا ينتهون. تركوا ملكًا داخ البلاد، واتبعوا كل حقير لا يملك الزاد. وما ظلموا الله ولكن أنفسهم يظلمون. افتتنوا بإطراء المادحين، وأهلكهم إغضاء المسامحين، ولم يقتبسوا نوراً من القرآن، وفي وادي الشعراء يهيمون. يريدون غسل المريرين من أدناس الذنوب، وهم متلطحون بأنواع العيوب، ولا يعلمون. أيها الغمّر الجاهل.. قُمْ أَوْلا لغسل قلبك، ثم انفض لغسل أخيك بأيد مطهرة، ولا تقل للناس ما لا تفعل فيضحكون. وكيف تغسل بدن إخوانك وإن بدنك قد اتسخ، ودرنه قد رسخ، وأنت لا تنتهج مهجة الاهتداء فكيف هم ينتهجون؟

وإن كنتم في ريب مما أمرتُ به فتأهبوا للنضال، واستعدّوا لإراءة آيات الكمال وصدق الحال، من الله ذي الجلال، وإنا نحن لإراءةها

مستعدون. اعلموا أن الولاية كلها في إجابات الدعاء، ولا معنى للولاية إلا القبولية في حضرة الكبرياء. فالمضمار المضمار، وإن تؤثروا الفرار، فأنتم كاذبون.

تعالوا يدخلكم الله في رياض الأمن، ولا تفرحوا بخضراء الدمن، وأنتم تعلمون. يدعوكم الله إلى الخير فما لكم لا تلبون؟ ويوقظكم واعظ منكم فما لكم تتناغسون؟ ويجذبكم يد الغيب فلم.. يا قوم.. تتناغسون؟ قد جاءكم أنباء الله فلم تتناسون؟ وقد جاء الحق وزهق الباطل وأنتم تمارون. وقد تجلت لكم الآيات وأنتم تعامون. ألا ترون أن الأرض قد زلزلت، وأن الفتن قد أحاطت، وأن القلوب قد ماتت، وكل داهية على الإسلام نزلت، وكل آفة اندلقت عليه وغلبت، واستيقظ الأعداء وأنتم تنامون؟

أرى البدعات في كل قولكم وفعلكم، وفي كل عمل تعملون، وفي الأحداث التي ترفعون، وفي ثيابكم التي تصبغون، وفي الأشعار التي تنشدون، وفي الوخذ الذي تمشون، وفي القصص التي تقصون بالفخر وتتكبرون، وفي لحيتكم التي تطيلون أو تحلقون، وفي طيوركم التي تصطادون. ما لكم لا تستعبرون على غفلتكم ولا تتندمون؟ ما لكم لا تخافون الله ولا ترتاعون ولا تلتاعون؟ ونسيتم يومكم الذي فيه إلى الله ترجعون. وأرى الفساد في أعينكم التي إلى الدنيا تمدون، وتحملقون حملقة البازي المطل وعلى جيفتها تقعون، وفي لسنكم التي تُحدونها على الإخوان وتطيلون، وكالصّل

تُضَنُّنُونَ وَلَا تَكْفُونَ، وفي آرائكم التي تُسْقَطُونَ فيها ولا تصيبون. ولا تَمَيِّزُونَ الفائق من المائق وتخلطون. وعلى بادرة الظن تَسْبُونَ وتغتابون. وبولايتكم تفتخرون، وعند الدعوة للمقابلة تولّون الدبر وتنهزمون، ثم لا تخلجون.. بل على فيوضكم تُساحلون. وإني أعلم أنكم جمادٌ محضٌ، ما دناكم روح الله وإنكم ميّتون. وإن كنتم على شيء فما منعكم أن تتجاولوا في الميدان وتتراسلوا، وفي المضمار تتباروا وفي حلقة السوابق تتبارزوا، كما أنكم تدعون؟ فإن بارزتم.. فتجدون مَطْلَعِي عليكم أسرع من ارتداد طَرْفكم إليكم، ويخزيكم الله خزيًا مؤلماً وتُعْلَبُونَ.

إني جئت لإعلاء كلمة الإسلام وأنتم تخالفون، وأريد أن أجدد دين الله وأنتم تزاحمون. ألا ترون أن الإسلام عاد غريبًا، وورد عليه ما لم يره الرّاءون، ولا رواه الرّاؤون؟ ما لكم لا تأخذكم الرجفة من هذا ولا تتألّمون؟ وما لكم لا تغيرون على هذا ولا تشتعلون؟ أنتم رجال أم مخنثون أيها الجاهلون؟ ألا ترون أن الفتن قد تعاضمت، وأن ظلماتها قد عمّت وأحاطت، وأن الأرض ألفت ما فيها وتخلّت، وأن البدعات قد ثرّت وكثرت، وأن تعاليم القرآن قد رُفعت، والنفوس إلى الأرض أخلّدت، وإلى الدنيا مالت، وتغطّت الآراء تحت البدعات وفي الأهواء أفرطت، وكل قوم أفسدت طريقها وضلّت، فما بقي بعد ذلك ما ينتظره المنتظرون؟

وإني.. والله.. من عنده، ودعوت الناس من أمره، فليختر
المخترون. وإني أضع أمام العلماء والمشائخ لعنةً وبركة، فليأخذوا
منهما ما شاءوا، وليميلوا إلى ما يميلون.

أما اللعنة فللذين يكذبونني باتباع الظنّ، ويكفرونني رجماً بالغيب،
ولا يعلمون الحقيقة ولا يتدبّرون. ولا يطلبون منّي ما يشفي
صدورهم ولا يحضرونني ليشاهدوا الآيات ولينجوا من الشبهات،
كما يفعل المتقون. ألا إنهم هم الذين شقوا في الدنيا والآخرة،
وعليهم لعنة الله بما يكفرون المسلمين بغير علم وبما كانوا يظنون ظنّ
السوء وبما كانوا يستعجلون.

وأما البركة.. فللذين يسمعون كلامي، ويرون آياتي، ويظنون
بأنفسهم خيراً، ويقبلون الحق ولا يستكبرون. فأولئك هم الذين
سعدوا في الدنيا والآخرة، وقاموا لطلب الحق فهم يطلبون. لا
يمشون مكبّين على وجوههم، ويسألون عند كل شبهة لينجوا منها،
ولا يصرّون على الباطل ولا يغفلون. فعليهم صلوات الله ورحمته
وبركاته وهم مرحومون.

يا أيها الناس.. أسألوني إن كنتم تشكّون. وادعوا لله تضرعاً
وخفية، واستكشفوا منه يكشف عليكم، ولا تقعدوا مع الذين
يخوضون بشرّ من عند أنفسهم، ولا يتبعون سبيل الرشد، ولا
يطلبون الحق وهم مستكبرون.

يا أيها الناس.. إن نزول المسيح كان أمراً غيبياً، فالله أبدى غيبه كيفما شاء، فلا تجادلوا في غيب الله، ولا تتعدوا حدودكم وأنتم تعلمون. وإن كنتم في شك مما قلت وادعيت لنفسي.. فاقصدوا قريتي، والبثوا أياماً في صحبتي، يكشف الله عليكم ما في قريتي، ويحكم فيما كنتم فيه تختلفون.

وإن استطعتم.. فتعالوا لإراءة آيات صدقكم ورؤية صدقي، وأجمعوا عليّ خيلكم ورجلكم وإخوانكم المبتدعين، وأحياءكم القبوريين، وادعوا عليّ ولا ثمهلون. فإن كانت لكم الغلبة فاذبحوني بأي سكين تشاءون. واعلموا أن الله مخزيكم، ولا يؤيد إلا عبده، ولا يعلي إلا دينه، ويهلككم أيها المفسدون. إن الله لا يرضى لعباده الكفر والشرك والبدعة، وأعداؤه هم المذبحون. إنه معي، وقد أخبرني من سرّ نزول المسيح وعمّي عليكم، وكان هذا فتنة من الله، يخفي ما يشاء ويبيدي، وكذلك سنته في أنباء الغيب، فويل للذين يجاحون في غيوب الله، كأنهم كانوا عليها محيطين، وكانوا على كل خفاياها مطلعين، ولا يحذرون.

أيها الناس.. كل شجر يعرف بأثماره، فستعرفوني بأثماري، فلم تشاجرون؟ وكفوا ألسنتكم من الإكفار، وأيديكم من الإضرار، واتقوا سخط الله القهار، وادعوا الله كشف هذه الأسرار، فسوف تُخبرون. إني أدعوكم إلى أمر فيه ثمرة خيركم وعلاج ميركم، وهو أن يجاهد كل أحد منكم، ويسأل الله تعالى أن يريه رؤيا كاشفاً

لحقيقة الحال، أو يلهمه إلهاماً يليق للاستدلال، والله قادر على كل شيء، فيعطيكُم إذ أنتم بكل قلبكم تسألون. فقوموا في أواخر الليالي وتوضّأوا، ثم صلّوا ركعات وابكوا وتضرعوا، وصلوا على النبي الكريم وسلموا، ثم استغفروا لأنفسكم واستخبروا، وداوموا على هذا أربعين يوماً ولا تسأموا، فستجدون من الله أمراً يقودكم إلى الحق، وتنجون من الشبهات، كما ينجي الصالحون. فما لكم لا تقتدون سنن الصلحاء، ولا تنتهجون مهجّة الأتقياء، وتحبون أن تفسقوا وتكفروا إخوانكم بغير علم، فتؤخذون عند الله وتحاسبون؟ أتحسبون الإكفار هيناً، وهو عند الله عظيم، ما لكم لا تتقون الله ولا تتفكرون؟

يا أيها الناس.. توبوا توبوا، قبل أن تغلق أبواب التوبة وأنتم تنظرون. يا أيها الناس.. اجتنبوا مجالس قوم متصوفة يقولون: إنا نحن لِحشّتيّون، وإنا نحن لقادريّون. يأتونكم في جلود النعاج وهم ذياب مفترسون. تروهم أذنًا للأغاريد، والمعرضين عن سنن النبي الوحيد، وأكثرهم فاسقون. قرّموا لقينات غيذاء، ودعّوا الشريعة الغراء، وخلعوا رسنهم واتبعوا الأهواء، فهم عليها منتكسون. ما لهم من علم من معارف القرآن، وما مسّت قريحتهم دقائق الفرقان، ويحسبون أنهم إلى قصوى المطالب فائزون. وإذا قيل لهم: اتبعوا داعي الله.. قالوا: لا نعلم ما الداعي، وإنا نحن الراشدون المرشدون. وإذا دُعوا إلى الله وسنن رسوله ﷺ لَوّوا رؤوسهم استكباراً، واتخذوا

نُذِرَ اللهُ هُزْءَةً وبهم يستهزئون. ويقولون إن المحدثية وشرف مكالمات الله وشرف رسالته ليس بشيء، ولو شئنا لجعلنا أدين مردينا بالغ هذا المقام، ولكننا لمثل هذه الأمور كارهون. حتم الله على قلوبهم، فهم لا ينظرون إلى الحق ولا يقصدونه ولا يسجلون، ويحتقرون الذي أرسله الله إلى عباده، ويقولون: قد أنبأنا الله: إنه كافر كذاب، ويصرون على قولهم وهم يكذبون. ويقولون: إن البركات كلها منوطة بالبيعة، وما لهذا الرجل شرف بيعة شيخ من المشايخ. وما بيعتهم إلا كصفقة المغبون، وإن قولهم إلا كذبٌ نَحْتَهُ الصَّوْغُونَ.

يا حسرةً عليهم! ألا يعلمون أن المسيح ينزل من السماء بجميع علومه، ولا يأخذ شيئاً من الأرض، ما لهم لا يشعرون؟ ألا يعلمون أن الذين يُرْسَلُونَ من لدن ربهم لا يحتاجون إلى بيعة أحد، وهم من ربهم يتعلمون، وكل علم منه يأخذون.. به يبصرون، وبه يسمعون، وبه ينطقون؟ يسكن فيهم رُوحُ الله، فهم بروحه يتكلمون، وبه ينورون كُلٌّ مَن سَلِمَ نَظْمُ فِطْرَتِهِ، وبه يفيضون. وبه يُطْلَعُونَ عَلَى كُنُوزِ الْعِلْمِ، وَيَقِيمُونَ حِجَّةَ اللَّهِ عَلَى كُلِّ مَنْ لَجَّ بِإِنكَارِ الْحَقِّ وَجُحُودِهِ، وَمَنْ اللَّهُ يُنْصَرُونَ. يُودِعُ اللَّهُ صُدُورَهُمْ مَعَارِفَ الْقُرْآنِ، وَيُظْهِرُهُمْ عَلَى نَوَادِرِ وَقَائِعِ الزَّمَانِ، وَيُعْطِيهِمْ شَيْئاً مَا لَا يُعْطَى غَيْرَهُمْ، وَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ يُمَيِّزُونَ. وَيَهَبُ لَهُمْ مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَهُمْ بِعَنَائِيَتِهِ يَخْصِمُونَ. وَأَنْ لَكُمْ هَذَا الْفَضْلَ أَيُّهَا الْمْتَرِدُونَ الْمَكْذِبُونَ؟ وَإِنْ كَانَ فِي بَيْعَتِكُمْ وَبَيْعَةِ مَشَائِكُمْ أَثَرٌ..

فأروني فيها هذا الأثر أيها الكاذبون. وإن كان في صحبتكم وصحبتهم فيض.. فما لي لا أرى ذلك الفيض.. أنتم تثبتون؟ قد هلكتم وأهلكتم جبالاً كثيراً أيها المفترون. ما لكم.. ما نفع الناس بيعتكم، وما أنتم منه منتفعون؟ وما مجلسكم إلا حلقة ملتحمة، ونظارة مزدحمة، وما يُقرأ القرآن في مجالسكم، بل بالأشعار تتلاعبون. والذين يبايعونكم ما أرى فيهم حُب الله وحُب رسوله لما لا أراهم متناهين من الفسق والمعصية، بل إلى المعاصي يسعون ويسارعون. ويركنون من الله إلى غير ركين، ويعبدون القبور ويستعصمون بغير مكين، وينتكسون على جيفة الدنيا، فهم ماثون منها البطون. يكلفون بها لغباوتهم، ويكلبون عليها لشقاوتهم، وهم فيها يعتدون. لا يعلمون من القرآن دقيقة، ولا يقرؤونه، ولا يتزودون للآخرة شيئاً، ولم يزالوا لدنياهم يعانون.

يا أيها الناس! توبوا توبوا، فإن الأيام قد كملت، وساعة الله قد اقتربت. فطوبى لعين أمعنت ورأت، وطوبى لأذن أصغت وسمعت، وطوبى لقدم إلى الحق فهضت وسارعت، وطوبى لقوم هم يقبلون الحق ولا يعرضون.

أيها المسلمون.. جعلكم الله مسلمين.. اعلموا أي من الله، وكفى بالله شهيداً، واعلموا أنه ينصربي، ويؤيديني، ويعلمني، ويلهمني، وأعطاني من معارف لا يعلمها أحد إلا بتعليمه، فما لكم لا تقبلون ولا تمتحنون؟

أيها الناس.. ادنوا مني ولا تتحولوا، وافتحوا أعينكم ولا تغضّوا،
 وادخلوا في أمان الله ولا تبعدوا، وتطهّروا عن الحقد والشنآن ولا
 تلطّخوا، وتجلّدوا إلى التوبة ولا تستأخروا، ولا تُفِرطوا في سوء
 الظن واتقوا واجتنبوا، واستعينوا بالصبر والصلاة وجاهدوا، ولا
 تعجلوا ألا لا تعجلوا، وادعوا الله متضرعين، واطرحوا بين يدي
 ربكم، واسألوه حقيقيتي وحقيقة أمري بكل قلبكم، وبكل
 توجهكم، وبكل عزيمتكم، وبصدق همّتكم، يكشف الأمر عليكم
 وتُجابوا.

ارفقوا أيها الناس.. ارفقوا، ولا تغلّوا في سبكم ولا تعندوا،
 واتقوا إنكار عجائب الله التي أخفيت من أعينكم ولا تجأروا،
 وارحموا على أنفسكم ولا تظلموا، أيها المستعجلون.

يا مشائخ الهند، إن كنتم تحسبون أنفسكم شيئا فما لكم لا
 تبارزونني ولا تقاومون؟ وإني أراكم في غلوائكم سادرين، وسادلين
 ثوب الخيلاء ومعجبين، وأهلككم المادحون المطرئون. تعالوا ندع
 الرب الجليل، ونتحامى القال والقيّل، ونطلب من الله البرهان
 والدليل، ونسأل الله أن يفتح بيننا وبينكم ليتبين الحق ويهلك
 الهالكون. وإني.. والله.. أتيقن فيكم أنكم الثعالب وتستأسدون،
 وبُعْثَانٌ وتستنسرون، وكذلك في أمري تظنون. فتعالوا نجعل الله
 حَكَمًا بيننا وبينكم، ليكرم الله الصادقين ويخسر المبتلون. فإن كان

لكم نصيب من نعمتي التي أنعم الله عليّ.. فبارزوا على ندائي،
وواجهوا تلقائي، وابتدروا ولا تُمهّلون.

ووالله.. ما أرى فيكم نفساً من الصلحاء.. إلا كالشعرة البيضاء
في اللّمة السوداء.. وأراكم أنكم أضلّتم عباد الله، وعقرتم ناقة
الإسلام وتعمّرون. وقد أرسلني ربي لأعرّفكم طرقاً تسلكونها،
وأعمالاً تعملونها، وأخلاقاً تهذبون بها، فأجيبوني: أتقبلون دعوتي أو
تردون؟ ما لكم لا تنظرون إلى الإسلام ومصائبها، وإلى آفات
جديدة وغرائبها، ولا تواسون أيها الغافلون؟ هذا وقت جمع ضلالة
كل تنوفة، وسلالة كل مخوفة، وأتى الزمان بعجائب فتن وعلوم
أطروفة، يُعرّف فيها علامات الوقاح كامرأة مطروقة يقبلها
الأحداث ويستملحون.

أيها الناس.. جئتمكم في وقت كادت الشمس تغرب فيه وتجب،
وضياء الإسلام يستتر ويحتجب. فما لكم لا ترون الأوقات، وما
تقبلون النور الذي نزل في وقته، وفي أنباء الرسول تشكون؟ ما لكم
قد جمدتم وناقتم قعدت وأررفت بأذنيها، ونفسكم لغبت وسقطت
على ساقبها، وما بقي لكم حس ولا حركة ولا أنتم تتنفسون؟ أنتم
نائمون أو ميتون؟ ما لكم لا تسمعون ولا تجيبون؟ أتحبون الحياة
الدنيا ولا تذكرون موت آبائكم ولا تخافون؟ يا حسرة على
شُفوفكم في الدّين، وتشوفكم أجسامكم بالتسمين، وخلوكم من
مواساة الإسلام والعلم واليقين ومما تدعون. ألا ترون ريجاً مطوّحة

عن طرق الصواب، وفتنًا مبرحة لأولي الألباب؟ ألا ترون رأس المائة التي كنتم تنتظرونها؟ ألا ترون أظلال الظلام، واقتحام جيش الليام، فلم لا تستيقظون؟ ألا ترون أن الإسلام صار كاليتيم المزعوذ، وهم المسلمون كالنضو المجهود، وخوف الله كالمناجاة المفقود، وعلم القرآن كالحى الموعود؟ ترونه، ثم تتجاهلون؟!!

أيها الناس! امتحنوا حزمكم في الأفكار، وديانتكم في الأنظار، ولا تحيدوا من الله البار، ولا تردوا نعمة الله التي جاءت في وقتها، ولا تولوا وأنتم معرضون. وإن تسمعوا قولي، وتلتفتوا إلى مواعظي، وإلى الوصايا التي أنا موصيكم اليوم، فالله يرضى عنكم، ويثركم ويكثركم، وينزل بركاته عليكم، ويجعل بركة في أولادكم وذرياتكم، وزروعكم وتجاراتكم، وعماراتكم وإماراتكم، ويحييكم حياة طيبة، فتدخلون في أمان الله وتحت ظله تعيشون. وإن لم تنتهوا من شروركم، ولم تضعوا حكم الله على نحوركم، فتؤخذون بذنوبكم، وتأكلكم نار عيوبكم، ويجعلكم الله قصصًا للآخرين، وعبرة للناظرين، ويذريكم ويزعجكم، فتبقى طولكم وأنتم تفنون. ويجرد الله وراءكم سيفه، ويسلط عليكم من يؤذيك، ويضرب عليكم الذلة، ومن كل مقام تُطردون.

إن الله يريد أن يؤيد دينه، وينصر عبده. أفهذا إسلامكم.. أنكم على خلافه واقفون؟ أستمطيعون إزعاج شجرة غرسها الرب الكريم؟ أبالله تحاربون؟ رب.. ما أرب إقدامك! إذا نزلت لنصرة قوم فهم

الغالبون. رَبِّ.. ما أَقْطَعَ حِسامَكَ! إذا جردته على حِزبٍ فهم المقطوعون. إن الله تجلى بألبسة جديدة، فقوموا له أيها الغافلون. وإن تغافلتُم وأعرضتُم فسوف تذكرون وتندمون. انظروا إلى أقوام قبلكم، عصوا الله.. فضربهم على سيماهم، وأخذهم بالبأساء والضراء، وأبادهم بالآفات وأنواع البلاء، وما أنتم خير منهم، وما ضعف الله وما لَغِبَ وما استكان، فما لكم لا تتقون جلال الله ولا ترتعدون؟

وما قلنا فيكم إلا شيئاً قليلاً، وسدنا على كثير من مخازيكم، وآثرنا التواضع على الملام، لعلكم تشكرون في أنفسكم وتتوبون.

إلى مشايخ العرب وصلحائهم

السلام عليكم، أيها الأتقياء الأصفياء، من العرب العُرباء. السلام عليكم، يا أهلَ أرضِ النبوةِ وجيرانَ بيتِ اللهِ العظمى. أنتم خيرُ أُممِ الإسلامِ وخيرِ حزبِ اللهِ الأعلى. ما كان لِقومٍ أن يبلغَ شأنكم. قد زدتم شرفاً ومجداً ومَنزلاً. وكافيكم من فخر أن الله افتتح وحيه من آدم وختم على نبي كان منكم ومن أرضكم وطناً ومأوى ومولداً. وما أدراكم من ذلك النبي! محمد المصطفى، سيّد الأصفياء وفخر الأنبياء، وخاتم الرّسل وإمام الورى. قد ثبت إحسانه على كلِّ من دبَّ على رجلين ومشى. وقد أدرك وحيه كلُّ فائتٍ من رموزٍ ومعانٍ ونِكَاتٍ عُلَى. وأحيا دينه كلِّ ما كان ميّتاً من معارفِ الحقِّ وسننِ الهدى. اللهم فصلِّ وسلِّم وباركْ عليه بعدد كلِّ ما في الأرض من القطرات والذرات والأحياء والأموات، وبعدد كلِّ ما في السماوات، وبعدد كلِّ ما ظهر واختفى، وبلغه منا سلاماً يملأ أرجاء السماء. طوبى لِقومٍ يحمل نيرَ محمدٍ ﷺ على رقبته، وطوبى لقلب أفضى إليه وخالطه وفي حُبِّه فى.

يا سُكَّانَ أرضِ أوطانته قدمُ المصطفى.. رحمكم الله ورضي عنكم وأرضى.. إن ظني فيكم جليل، وفي رُوحى للقاءكم غليل، يا عباد

الله. وإني أحينّ إلى عيان بلادكم، وبركاتِ سوادكم، لأزور موطنَ أقدام خير الورى، وأجعل كُحْلَ عيني تلك الثرى، ولأزور صلاحها وصلحاءها، ومعالمها وعلماءها، وتقرّ عيني برؤية أوليائها، ومشاهدها الكبرى. فأسأل الله تعالى أن يرزقني رؤية ثراكم، ويسّرني عمركم، بعنايته العظمى.

يا إخوان.. إني أحبّ بلادكم، وأحبّ رمل طرفكم وأحجار سلككم، وأوثركم على كل ما في الدنيا.

يا أكباد العرب.. قد خصّكم الله ببركاتٍ أثيرة، ومزايا كثيرة، ومراحمه الكبرى. فيكم بيت الله التي بورك بها أمّ القرى، وفيكم روضة النبي المبارك الذي أشاع التوحيد في أقطار العالم وأظهر جلال الله وجلّى. وكان منكم قوم نصرّوا الله ورسوله بكل القلب، وبكلّ الروح، وبكلّ النهى. وبذلوا أموالهم وأنفسهم لإشاعة دين الله وكتابه الأزكى. فأنتم المخصوصون بتلك الفضائل، ومن لم يكرمكم فقد جار واعتدى.

يا إخوان.. إني أكتب إليكم مكتوبي هذا بكبدٍ مرضوضة، ودموع مفضوضة، فاسمعوا قولي، جزاكم الله خير الجزاء.

إني امرؤُ ربّاني الله برحمة من عنده، وأنعم عليّ بإنعامٍ تام، وما آتني من شيء، وجعلني من المكلمين الملهمين. وعلمني من لدنه علماً، وهداني مسالك مرضاته، وسكك ثقاته، وكشف عليّ أسرار

العُليا. فطوراً أَيْدِي بالمكالمات التي لا غبار عليها ولا شبهة فيها ولا خفاء، وتارةً نُورِي بنور الكشوف التي تشبه الضحى.
ومن أعظم المنن أنه جعلني لهذا العصر ولهذا الزمان إماماً وخليفةً،
وبعثني على رأس هذه المائة مجدداً، لأخرج الناس إلى النور من
الدُّجى، وأنقلهم من طرق العَيِّ والفساد إلى صراط التقوى.
وأعطاني ما يَشْفِي النفوس، وينفي اللبْسَ المحسوس، ويكشف عن
الخلق العُمى.

إنه وجد هذا العصر أسيراً في مشكلات ومخنوقاً من معضلات،
وهالكاً تحت بدعات، وسيئات وظلمات، فأراد أن ينجّي أهله من
تلك الآفات وأنواع البلاء. وإنه رأى فساد قسّيسين وفلاسفة
النصارى قد بلغ من العمارات إلى الفلوات، ومن النيات إلى عمل
السيئات، ومن سطح الأرضين إلى الجبال الشامخات، ورأى أنهم
عتوا عتواً كبيراً، وبلّغوا أمرهم في غلوهم إلى الانتهاء. ورأى الرب
المجيد أنه ابتلي كثيرٌ من الخلق بدقائق فتنهم، ولطائف ذكائهم،
وغرابة دهائهم، وسحرِ علومهم، وطلسم فنونهم، وخذيعتهم
العظمى. ورأى أنهم ينهبون دين الناس وإيمانهم، ويسحرون قلوب
الناس وأبصارهم وآذانهم، ويفلون المعالم والمجاهل لإضلال الورى،
ويُروون بسحرهم الظلمة كالسنا، وخرج بتحريكهم قوم من الهنود
يسمون أنفسهم "آريا"، ويقولون لا نؤمن بكتابٍ إلا بويدنا، الذي

أُنزل في ابتداء الدنيا. وما في أيديهم إلا تعليمُ عبادة الشمس والقمر والنجوم والنار والماء والهواء، وإن كانت نساؤهم لم يلدن لهم أبناءً فيأمرهم ويُدِّههم أن يؤذِنوا أزواجهم لارتكاب الزنا، وَيَذَرُوها لأنفسهم أولادًا من هذا الطريق، وداوموا لنجاتهم على هذا العمل أبداً. ويسمى هذا العمل بلسانهم بـ"نيوك"، ويحسبونه عملاً مقدّساً. فهذه شريعتهم وأحكام كتابهم، ومع ذلك يُعضِلون قومهم أن يُسَلِّموا، ويسبِّون خير البرية شرًّا وخُبثًا. ويصرون على السبِّ والنشتم والتوهين، ويؤلِّفون في رد الإسلام كُتبا، وما رُدَّهم إلا بمجموعة الافتراء. وهذه المفاسد كلها قد حدثت من قسَّيسين، وزُلزلت الأرضُ زلزالاً شديداً، فالله خيرٌ حافظاً وخير ما أُرزا.

ومن الآية المباركة العظيمة أنه إذا وجد فساد المنتصرين وآههم أنهم يصدّون عن الدين صدوداً، ورأى أنهم يؤذِنون رسول الله ويحتقرونه، ويُطرون ابن مريم إطراءً كبيراً، فاشتد غضبه غيراً من عنده، وناداني وقال: (إني جاعلك عيسى ابن مريم)، وكان الله على كل شيء مُقتدراً. فأنا غيرُة الله التي فارت في وقتها، لكي يعلم الذين غلّوا في عيسى أن عيسى ما تفرّد كتفرّد الله، وأن الله قادر على أن يجعل عيسى واحداً من أمة نبيه، وكان هذا وعداً مفعولاً.

يا إخوان.. هذا هو الأمر الذي أخفاه الله من أعين القرون الأولى، وجلي تفاصيله في وقتنا هذا، يخفي ما يشاء ويبيدي، وقد حلت مثله فيما مضى.

وفي اختيار هذا الطور الأخرى مصلحتان عظيمتان رآهما الله لعباده أنسب وأولى. أما الأولى فهي أن هذا النبأ كان من أنباء غيبية، وكان زمان ظهوره بعيداً جداً، وكان الله يعلم أنه لا يظهره إلا بعد انقضاء أزمنة طويلة، وعصور مديدة، وارتحال كثير من الأمم من هذه الدنيا، وكان يعلم أنه لا فائدة للأولين في تصريح هذا النبأ المحمل وتفاصيله العظمى، وكان يعلم أنهم يموتون كلهم قبل ظهور ذلك النبأ وما يجديهم تفاصيله نفعاً. فأراد أن يعطيهم ثواب الإيمان بعوض ما فات منهم ويهب لهم بعد إيمانهم أجراً حسناً. فترك تفاصيل هذا النبأ في وحيه واختار إجمالاً لطيفاً مبهماً كالمعمى. وجعل هذا الإجمال متحلياً بالاستعارات، ومصبوغاً من المجازات والكنائيات، وأبعد من الأفهام والدرايات والقياسات، ليلوهم أيهم يتبع أمراً. فآمنوا فرضي الله عنهم وجزاهم خيراً الجزاء، لأنهم أحسنوا الظن في الله ورسوله، وآمنوا بما لم يعرفوا حقيقته ولم يدركوا ماهيته أصلاً.

وأما الثانية.. فإنه أراد - جل اسمه - ليبتلي الآخرين كما ابتلى الأولين، ليغفر لهم ذنوبهم ويهيئ لهم عند إيمانهم رشداً. وكانوا

يعملون السيئات من قبل وأضاعوا فيها قرونا وحُقبا. وغلبت عليهم الشهوات حتى لم يملكوا أنفسهم، وحصدوا زروعها في الأهواء، وشابهوا صعيداً جُرْزاً. فأظهر الله ذلك النبأ المجمل المستور خلاف زعمهم لibtليهم به رشدًا وعلمًا وفهماً، وليعطي المؤمنين كَفَلين من رحمته ويجعل لهم لرضائه سبباً. وكان هذا كله ابتلاءً من عنده ليميز المؤمنين المخلصين من غيرهم، ويتوب عليهم فضلاً ورحماً، وليُخزي عقول الذين استكبروا في أنفسهم واتخذوا عبد الله وتبليغه سُخْرَةً وهُزُواً. وكذلك أمر الله، إذا شاء ابتلاءً قوم مذنب.. فرمما يلبس عليهم نبأً موعوداً، ويقلب عقولهم وأفهامهم، فلا يفهمون سرَّ وعد الله ولا موعداً، ليذيقهم سوء ما عملوا من قبل ويجعلهم من الذين عادوا عبداً صادقاً، وزادوا حَيْفًا وشَطَطًا. فينكّر تأويل النبأ في أعينهم فيحسبونه شيئاً فَرِيًّا مَحْتَلِّقًا. وما يَحْلَقون إلى حيث يَحْلَق ذو النهى، ولا يرون الإشاراتِ المطويّة في ذلك النبأ الأَخْفَى، ولا يخافون فتنة الله التي تصيب المجرمين خاصّةً ويجادلون كالأعمى. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون بنوع من الابتلاء؟ وقد خلت سنن الله في مثل ذلك، وفيها عبرة لكل قلب يخاف ويخشى.

فاعتبروا يا أولي الأبصار.. واسألوا أهل الذكر إن كان الأمر عليكم مشتبهًا. أعجبتكم أن أتكم سنة الأولين قبلاً؟ أعجبتكم أن

أرسل الله إليكم حكما كاشفا لسر هذا النبأ، فنضا الحكم عن وجه النبأ سترا؟ أهذا في أعينكم أمر منكر، ونسيتم ما قيل لكم إن المسيح يأتي إليكم حكما عدلا؟ فما لكم لا تقبلون قول حككمكم.. أتسون ما قال النبي ﷺ وأوصى؟ وإن تحسبون أنكم على صدق وحق.. فلولا تأتون عليه بنظير من قبل.. وقد قال الله إن لسننه نظائر في الأمم الأولى. أتعرفون بشرا رفع إلى السماء ثم نزل بعد قرون كما تظنون في عيسى؟ ووالله إن هذا خارج من سنن الله ولن تجدوا من مثله في كتب الله أثرا. وقد قرأتم في الصحاح أن المسيح لحق بميتين من إخوانه، واتخذ مقاما عند أخيه يحيى. وقد وعد الله للذين تُوفوا مسلمين أنهم لا يُردون إلى الدنيا، ويمكثون في دار السعادة أبدا. وقال النبي ﷺ إني أُخبرت أي أعيش نصف ما عاش عيسى، وفي ذلك دليل على وفاة المسيح لمن كان له قلب أو يعمن النظر وهو يرى. فليحكم أهل الحديث بما جاء من النبي ﷺ في الصحاح، ولا يجادلوا بأحاديث نزوله قبل أن يثبتوا صعوده بجسمه إلى السماوات العلى. ولو شاء الله لفتح آذانهم، وبصر أعينهم، وفهم قلوبهم، ولكن ليبلوهم فيما آتاهم، وليخزي الله من أراد خزيه في الدنيا والعقبى. ولو أن أهل الحديث آمنوا واتقوا لكفر الله عنهم سيئاتهم وكتبهم في الصادقين، ولكن بخلوا واستعجلوا، واختاروا لأنفسهم عوجا، واتبعوا أقدام السفهاء الذين خلوا من قبل، ونسوا

كل ما ذُكِّروا به، وطلبوا لِدنياهم مرفقا. فلا يضرون الله شيئا من مكائدهم، وإن كانوا ليزيلوا من كيدهم جبلا. ولا تحسبُنَّهم بمفازةٍ من أخذ الله، ولا تحسبوا عداوة الحق أمرا هينا. والله يتم وعده وينصر عبده، فإن جنحوا للسلم فهو خير لهم، وإن عتَّوا فسيريهم الله ذلا وخزيا.

وقد أتممت عليهم حجتي، وقرأت عليهم براهين صدقي، فما نظروا من الإنصاف نظرا. ألا يرون أن الله أخبر من وفاة المسيح في مقامات شتى؟ والقرآن كله مملوء من ذلك، ولا تجد فيه لإثبات حياته حرفا أو لفظا. وهناك قول المسيح في القرآن: ﴿وكنْتُ عليهم شهيدا ما دمتُ فيهم فلما توفيتني كنتَ أنتَ الرقيبَ عليهم﴾.¹ فانظر كيف يثبت من ههنا أن المسيح توفي وحلا. ولو كان نزول المسيح ومجيئه مقدرًا ثانيا لذكر المسيح في قوله شهادتين ولقال مع قوله: كنت عليهم شهيدا وأكون عليهم شهيدا مرة أخرى.. وما حصر في الشهادة الأولى. وقال الله تعالى: ﴿فيها تحيون﴾،² فخصص حياة الناس بالأرض كما خصص موتهم بالثرى. أتتركون كلام الله وشهادة نبيه وتتبعون أقوالا أخرى؟ بئس للظالمين بدلا!

¹ سورة المائدة: ١١٨

² سورة الأعراف: ٢٦

أيها الناس.. قد أعثرني الله على هذا السر وعلمني ما لم تعلموا، وأرسلني إليكم حكماً عدلاً، لأكشف عليكم ما كان عليكم مستتراً. فلا تماروا ولا تجادلوا، وتدبروا في قوله: ﴿يا عيسى إني متوفيك﴾، وقرؤوا هذه الآية إلى قوله: ﴿يوم القيامة﴾ ثم أمعنوا النظر يا أولي النهى! وانظروا كيف افتتح الله من وفاة المسيح، وذكر كل واقعة بترتيب طبعي تتعلق بعيسى، حتى اختتمها على يوم القيامة، ولم يذكر من نزول المسيح في هذه السلسلة شيئاً، وما أحدث في هذا الأمر ذكراً. وما كان نزوله عند الله إلا نزول إراداته وتوجهاته على المظهر الذي قام مقامه وقرب به استعداداً ودناً. فلونه بلونه، وصبغه بصبغه، حتى صار المظهر مستغرقاً مغموراً في معنى الاتحاد، وشابه عين أصله في القوى، وتقاربت مداركه بمداركه، وأخلاقه بأخلاقه، وجوهره بجوهره، وطبيعته بطبيعته، حتى صاراً كشيء واحد، وكان اسمهما واحداً في المبدأ الأعلى.

وإن اشتقت أن تكتنه حقيقة هذا السر، وتطلع على أسبابه على وجه أظهر وأجلى، فأصنع آيين لك ما علمني ربي في هذا الأمر من أسرار الهدى. وهي أن الله وجد في هذا الزمان غلبة المنتصرين وضلالاتهم إلى الانتهاء، ورأى أنهم ضلّوا وأضلّوا خلقاً كثيراً، ونحسوا الأرض بشركهم وكفرهم، وأكثروا فيها الفساد، وأشاعوا في الناس كذبهم، وفريتهم وتلييساتهم، وفتحوا أبواب المعاصي

والهوى. ففارت غيرة الله تعالى عند رؤية هذه الفتنة العظمية. فأنبأ الربّ الغيور كلمته ونبيه من فتن أمته ومما أفسدوا في الأرض ومما يصنعون صنعا. وكان هذا الإخبار من سنن الله ولن تجد لسنن الله تحولا ولا تبديلا. ولما سمع المسيح أن أمته أهلكت أهل الأرض وأرادت أن يستفزهم جميعا، وبغت أمام ربها بغيا كبيرا، فكثر كربه وقلقه حسرة على أمته، وأخذ حزن ووجد كمثل الذي يهمة إغاثة الملهوفين أو يجب عليه إعانة المظلومين، واستدعى من الله نائبا، وقضى أن يكون نائبه متحدا بحقيقته ومتشابها بجوهره، ومقيما في مقام جوارحه لإتمام مراداته، ومظهرا لظهور إراداته، فصرف لهذه المنية عنان التوجه إلى الثرى. فاقتضى تدبير الحق أن يهب له نائبا تنطبع فيه صورته المثالية كما تنطبع في الحياض صور النجوم من السماوات العلى. فأنا النائب الذي أرسلني الله في زمان غلبة التنصير غيرة من عنده، وإراحة لروح المسيح، ورأفة بعامته خلقه، وترحما على حال الورى. فجئت من الله لأكسر الصليب الذي أعلي شأنه، وأقتل الخنزير فلا يحيا بعده أبدا. واختارني ربي لميقاته، إن ربي لا يخلف ميعاده ولا ينقض عهدا. وقد كان وعده إرسال المسيح عند تطاول فتنة الصليب وغلبة الضلالات العيسائية، وإن كنتم في شك مما قلنا فتدبروا في قول نبيه.. أعني قوله: "يكسر الصليب"، يا أرباب النهى. وافتحوا أعينكم وانظروا نظرا غامضا إلى زمانكم وإلى قوم

جاءوا بفتن عظيمة، ثم اشهدوا لله.. هل أتى وقت قدوم كاسر الصليب أو ما أتى؟

والله، إني قد أرسلتُ من ربي، ونُفِث في روعي من روع المسيح، وجُعِلتُ وعاءً لإراداته وتوجهاته، حتى امتلأت نفسي ونسمتي بها، وانخرطتُ في سلك وجوده، حتى تراءى شَبْحُ رُوحه في نفسي، وأشربتُ في قلبي وجوده، وبرق منه بارقٌ فتلقته رُوحِي أتم تلقً، ولصقت بوجوده أشدَّ مما يُخيل، كأني هو، وغبت من نفسي، وظهر المسيح في مرآتي وتجلّى، حتى تخيلتُ أن قلبي وكبدي وعروقي وأوتاري ممتلئة من وجوده، ووجودي هذا قطعة من جوهر وجوده، وكان هذا فعل ربي تبارك وتعالى. وكان هو في أوّل أمري قريباً مني كالبحر من القارب، ثم دنا فتدلى، فكان مني بمنزلة الماء في القربة، وتموج في جسدي روحه، فصرتُ كشيء لا يُرى. ووجدته كقندٍ اختلط بماءٍ لا يتميز أحدهما من الآخر، وأدركتُ بحاسة رُوحِي أنه اتّحد بوجودي، وصرت في نفسه ملتفاً، وصرنا كشيء واحد، يقع عليه اسم واحد، وغابت طينتي في طينته العُليا. هذا ما علّمنا من ربّنا، فاقض ما أنت قاض، واتق الله، ولا تُخلد إلى أهواء الدنيا.

وأما الكلام الكُلّي في هذا المقام، فهو أن للأنبياء الذين ارتحلوا إلى حظيرة القدس تدليّاتٍ إلى الأرض في كل بُرْهةٍ من أزمنةٍ يُهيج

الله تقاربيها فيها، فإذا جاء وقت التدلّي صرف الله أعينهم إلى الدنيا، فيجدون فيها فسادًا وظلمًا، ويرون الأرض قد مُلئت شرًّا وزورًا، وشركًا وكفرًا، فإذا ظهر لأحد منهم أن تلك الشرور والمفاسد من بغي أمته، فيضطر روحه اضطرارًا شديدًا، ويدعو الله أن يُنزله على الأرض ليهيئ لهم من وعظه رشداً. فيخلق له الله نائباً يشابهه في جوهره، وينزل روحه بتنزيل انعكاسي على وجود ذلك النائب، ويرث النائب اسمه وعلمه، فيعمل على وفق إراداته عملاً. فهذا هو المراد من نزول إيليا في كتب الأولين، ونزول عيسى عليه السلام، وظهور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في المهدي خلقاً وسيرة. وما من محدث إلا له نصيبٌ من تدليّات الأنبياء، قليلاً كان أو كثيراً. ومن تجرّد عن وسخ التعصّبات فلا يتردّد في هذا، ويجد السنّة والكتاب مبينين لها.

أيها الأعزّة.. إن حضرة الله تعالى حضرةٌ عجيبةٌ، وفي أفعال الله أسرارٌ غريبةٌ، لا يبلغ فهم الإنسان إلى دقائقها أصلاً. فمن تلك الأسرار تمثّل الملائكة والجنّ، ومنها حقيقة نزول المسيح التي دقّ فهمها وعسرّ اكتنائها على أكثر الناس، فلا يفهمون الحقيقة، ولا أرى في فطرتهم إلا غضبا. والأصل الكاشف في ذلك كلام الله تعالى، فانظروا إلى القرآن الكريم كيف يبيّن معنى النزول في آياته

العظمى. وتدبروا في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾^١ وفي قوله عز اسمه: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾^٢ وفي قوله جل شأنه: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ﴾^٣ وفي قوله جلت قدرته: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ﴾^٤ وفي أقواله الأخرى. وأنتم تعلمون أن هذه الأشياء لا تنزل من السماء بل تحدث وتتولد في الأرض وفي طبقات الثرى. وإن أمعنتم النظر في كتاب الله تعالى فيكشف عليكم أن حقيقة نزول المسيح من هذه الأقسام الذي ذكرناه ههنا، فتدبروا في قولنا وأمعنوا نظرا. وما ينبغي أن يكون اختلاف في كلام الله تعالى، ولن تجدوا في معارفه تناقضا.

والقول الجامع المهيمن الذي يهدي إلى الحق، ويحكم بيننا وبين قومنا آية جليلة من سورة "الطارق" تُذكر سراً غفلوا منه أهل الهوى.. أعني قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾^٥. فاعلموا أيها الأعزّة أن هذه الآية بحر مَوَاجٍ من تلك الأسرار، ما أحاطتها فكر من الأفكار، وما مسّتها مُدْرِكَةُ السورى. وفهمني ربي أسرار هذه الآية واختصني بها، وتفصيله أن الله تعالى أشار في هذه الآية إلى أن السماء مجموعة مؤثرات والأرض مجموعة

^١ سورة الحديد: ٢٦ ^٢ سورة الأعراف: ٢٧ ^٣ سورة الزمر: ٧ ^٤ سورة الحجر: ٢٢

^٥ سورة الطارق: ١٢ - ١٧

متأثرات، وينزل الأمر من السماء إلى الأرض، فتلقته الأرض بالقبول ولا تأبى. وفي هذا إشارة إلى أن كل ما في السماء من الشمس والقمر والنجوم والملائكة وأرواح المقدمين من الرسل والنبين والصديقين وغيرهم من المؤمنين.. يلقي أثره على ما في الأرض. بمناسبة قضت حكمة القدس رعايتها. فالسماء تتوجه إلى الأرض بأقسام غير متناهية من النزول والرجع، والأرض تتقبلها بالانصداع والإيواء بأقسام لا تعد ولا تحصى. فمن أقسام نتائج هذا الرجع والصدع أشياء تحدث في طبقات الأرض كالفضة والذهب والحديد وجواهرات نفيسة وأشياء أخرى. ومن أقسامه الزروع والأشجار والنباتات والثمار والعيون والأنهار وكل ما تتصدع عنه الثرى. ومن أقسامه جمال وحمير وأفراس وكل دابة تدب على الأرض وكل طير يطير في الهواء. ومن أقسامه الإنسان الذي خلق في أحسن تقويم وفُضِّل على كل من دبّ ومشى. ومن أقسامه الوحي والنبوة والرسالة والعقل والفتانة والشفافة والنجابة والسفاهة والجهل والحمق والرذالة وترك الحياة. ومن أقسامه نزول أرواح الأنبياء والرسل نزولا انعكاسياً على كل من يناسب فطرتهم ويشابه جوهرهم وخلقتهم في الخلق والصدق والصفاء. ومن ههنا ظهر أن تأثيرات النجوم ثابتة متحققة منصوصة، ولا يشك فيها إلا الجاهل الغبي البليد الذي لا ينظر في القرآن ويجادل كالأعمى. وهذا

الرجع والصدع جارٍ في السماوات والأرض من يوم خلقهما الله وقال ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾¹. فمالت السماء إلى الأرض كالذكر إلى الأنثى، ولأجل ذلك اختار الرب الكريم لفظ الرجع للسماء، ولفظ الصدع للأرض، إشارة إلى أنهما تجتمعان دائماً كاجتماع الذكور والإناث، ولا تأتي إحدهما من الأخرى ولا تطغى. فتأثيرات السماء تنزل ثم تنزل، والأرض تقبلها ثم تقبل، ولا تنقطع هذه السلسلة الدورية طرفة عين، ولولا ذلك لفسدت الأرض وما فيها.

وقال الله تعالى في أوّل هذه الآية: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾²، وقال بعد ذلك: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الرَّجْعِ﴾، فما أدراك أنه في جمع ذكر الرجعين إلى ما أومى؟ فاعلم أنه أشار إلى أن عود الإنسان بالبعث بعد الموت في قدرة الله تعالى، كما أنه يعيد أرواح المقدمين بإعادات انعكاسية من السماء التي هي ذات الرجع، إلى الأرض التي هي ذات الصدع ومولد كل من يحيا. وهذه نكتة عظيمة لطيفة عُضَّ عليها بنواجذك، وخُذْها بقوة، هداك الله خير الهدى. هذا سرّ النزول الذي فيه يختلفون، أمر من عنده ليقضي أمراً قدر وقضى.

¹ سورة فصلت: ١٢

² سورة الطارق: ٩

واعلموا أن الله تعالى عند ذكر أنباء الغيب السنة شتّى. فتارة يبيّن في ألفاظ مصرّحة للحقائق المقصودة، ويُري سقياها ومرتّعها، وييدي ما قصد وعنى. وتارة ينطق بلسان التجوز والاستعارة، ليُخفي الأمر ويبتلي الناس بها. وقد جرت عادته وسنته أنه يختار الإخفاء والكتّم في واقعات قضت حكمته إخفاءها، ويخلق الأهواء، فتُحشّر الآراء إلى جهات أخرى. وإذا أراد إخفاء صورة نفس واقعة فرما يري في تلك المواضع الواقعة الكبيرة صغيرة مهونة، والواقعة الصغيرة المسنونة كبيرة نادرة، والواقعة المباشرة مخوّفة، والواقعة المخوفة مباشرة. فهذه أربعة أقسام من الواقعات من سنن الله كما مضى.

أما الواقعة الكبيرة العظيمة التي أراد الله أن يريها صغيرة حقيرة فنظيرها في القرآن واقعة بدر لمن يتدبر ويرى. فإن الله قتل أعداء الإسلام ببدر في منام رسوله ليذهب الروح عن قلوب المسلمين، ويقضي ما أراد من القضاء.

وأما الواقعة التي أراد الله أن يريها كبيرة نادرة فنظيرها في القرآن بشارة مدد الملائكة كي تقرّ قلوب المؤمنين، ولا تأخذهم خيفة في ذلك المأوى. فإنه تعالى وعد في القرآن للمؤمنين وبشرهم بأنه يُمدّهم بخمسة آلاف من الملائكة، وما جعل هذا العدد الكثير إلا لهم بشرى، لأن فردا من الملائكة يقدر بإذن ربه على أن يجعل عالي

الأرض سافلها، فما كان حاجة إلى خمسة آلاف بل إلى خمسة، ولكن الله شاء أن يريهم نصرة عظيمة، فاختار لفظاً يفهم من ظاهره كثرة الممددين، وأراد ما أراد من المعنى. ثم نبه المؤمنين بعد فتح بدر أن عِدَّة الملائكة ما كانت محمولة على ظاهر ألفاظها، بل كانت مؤوَّلة بتأويل يعلمه الله بعلمه الأرفع والأعلى. وفعل كذلك.. لتطمئن قلوبهم بهذه البشرى، ويزيدهم حسن الظن والرجاء.

وأما الواقعة المبشرة التي أراد الله أن يريها مخوفة، فنظيرها في القرآن واقعة رؤيا إبراهيم بارك الله عليه وصلى. إنه تعالى لما أراد أن يتوب عليه ويزيده في مدارج قربه ويجعله خليلاً المجتبي.. أراه في الرؤيا بطريق التمثيل كأنه يذبح ولده العزيز قرباناً لله الأعلى. وما كان تأويله إلا ذبح الكبش لا ذبح الولد، ولكن خشى إبراهيم عليه السلام ترك الظاهر فقام مسارعاً لطاعة الأمر، ولذبح الولد سعى. وما كانت هذه الواقعة مبنية على الظاهر الذي رأى، ولو كان كذلك للزم أن يقدر إبراهيم على ذبح ابنه كما رآه في الرؤيا ولكن ما قدر على ذبحه، فثبت أن هذه الواقعة كان له تأويل آخر ما فهم إبراهيم عليه السلام، وكيف يفهم عبد شيئاً ما أراد الله تفهيمه، بل أراد أن يسبل عليه سترًا؟ وأنت تعلم أن كذب الرؤيا ممتنع في وحي الأنبياء. فاعلم أن ذبح الابن في حلم إبراهيم ما كان إلا بسبيل التجوز والاستعارة

ليخوفه الله رحمة من عنده، ويرى الخلق إخلاصه وطاعته للمولى، وليبتلي إبراهيم في صدقه ووفائه، وانقياده لربه، فما لبث إبراهيم إلا أن تَلَّ الولد العزيز للجبين ليذبحه. رب فارحَمَ علينا بنبيك وإبراهيم الذي وفى.. الذي رأى بركاتك ولقي خيرا وفلجاً.

ويشابه هذه الواقعة واقعة الدجال، فإنها جُعِلتْ مَخَوِّفَةً مهيبَةً، وشُدِّدَ فيها ومُلِّئَ الرعب فيها، وأُعلِيَ أمرها إلى الانتهاء، وما هي إلا سلسلة مُلتَمِّمة من هِمِّ دجالية، وما فيها من الألوهية رائحة، ولا من صفات الله نصيب، إن هي إلا سلسلة الفتن والمكائد ودعوات الضلالة، ابتلاءً من الله الأغنى. وكيف يمكن أن يحدث شريك البارئ، ويتصرف في ملكوت السماوات والأرض، وتكون معه جنة ونار، وجميع خزائن الأرض، ويطيع أمره سحب السماء وماء البحر وشمس الفلك، ويحيي ويميت؟ سبحانه لا شريك له.. تقُدس وتعالى. كلا.. بل هي استعارة لطيفة مخبرة من وجود قوم يعلون في الأرض ومن كل حدب ينسلون. وهم قوم النصارى الذين لهم سابقة في التلبيس وعجائب الصنع، وعمرروا الأرض أكثر مما عمرت من قبل، وترون في أعمالهم الخوارق كأنهم يسحرون. أخذ الخلق حيرة من إيجاداتهم، ونوادر صناعاتهم، وأضلوا خلقا كثيرا مما يصنعون ومما يمكرون. أحاطت تلبيساتهم على الأرض، ونجَّسوا وجهها، وأخلطوا الباطل بالحق، ويَدْعُونَ الناس إلى الشرك

والإباحة والدهرية، وكذلك يفعلون. وكيف يمكن أن يحدث الدجال من قوم اليهود وقد ضربت الذلّة والمسكنة عليهم إلى يوم القيامة، فهم لا يملكون الأمر أبدا ولا يغلبون. ألا تقرؤون وعد الله.. أعني قوله: ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا﴾¹. ألا تتفكرون؟ ألا تتدبرون في القرآن كيف وضع كل غير الله تحت أقدامنا وبشرنا بعلو كلمة التوحيد إلى يوم القيامة، فكيف يزيغ قلوبكم وتؤمنون بما يعارض القرآن وتلحدون؟ أيجعل الله لذاته شريكا في آخر الزمان ولو إلى أيام معدودات؟ ألا ساء ما تحكمون! وأما الواقعة المسنونة المعلومة التي أراد الله أن يُريه * غريبة نادرة فنظيره * في القرآن واقعة حلم فرعون، إذ قال: ﴿إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾²، وكذلك رؤيا يوسف عليه السلام ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾³. فهذه النظائر حاكمة بيننا وبين قومنا، وبيان شاف فيما كانوا فيه يختلفون. ويشابهها واقعة نزول المسيح.. أخفاها الله كما أخفى هذه

¹ سورة آل عمران: ٥٦

* كذا ورد في الأصل

² سورة يوسف: ٤٤

³ سورة يوسف: ٥

الواقعات بالاستعارات، فافهموا إن كنتم تفهمون. ما كان من سنن الله أن يكسِطَ أنبأه في كل وقت وزمان، بل ربما يتلى عباده في بعض الأزمنة، ويكتم أنبأه ويومي إلى أسرار وهم لا يشعرون.

وأما الواقعة التي هي غريبة نادرة، وأراد الله أن يريها مفهومة معلومة، فنظيرها في القرآن ما أحبر الله تعالى من آلاء الجنة وأثمارها، وألبانها وأشجارها وثمارها، ولحوم طير مما يعرفونه الخلق ويشتهون. يخفي ما يشاء ويبيدي.. وفي كل فعله مصالح وحكم وابتلاءات، ولكن أكثر الناس لا يعلمون. يعلمون ظواهر الشريعة وقشورها، وهم عن لبوها غافلون. وإذا كُشف عليهم من سرٍّ فتزدي أعينهم ويظنون ظن السوء ويكفرون.

وقالوا كيف تواردت أمة على خطأ، وكيف نظن أنهم أخطأوا كلهم وأنتم المصيبون؟ يا حسرة عليهم! لم لا يعلمون أن الله غالب على أمره، فإذا أراد أن يخبي شيئاً فلا يفهمه الفهمون. ويقروون سننه في القرآن ثم يغفلون. ألا يعلمون أن الله قد يخفي أمراً على المقربين من الأنبياء فهم بإخفائه يتلون؟ وما كان لأمة أن تسبق الأنبياء في فهمها، وما كان الله أن يترك قومًا بغير ابتلاء، ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾* . إن الله يتلى كل أمة بأنبائه الغيبية، وقد ابتلى الفاروق وأمثاله، أنتم منهم

* سورة العنكبوت: ٣

تزيدون؟ ما لكم لا تخافون ابتلاء الله ولا تخشون؟ لعل نبأ نزول المسيح يكون فتنة لكم، ما لكم لا تتقون؟ أأنتم أسلم فهمًا من الذين خلوا من قبل، أم لكم براءة من فتن الله، ما لكم لا تتفكرون؟ وقد مضت ابتلاءات قبل هذا، فطوبى لقوم يفتحون الأبصار ويعتبرون.

وقالوا كيف نؤمن بهذا المسيح وقد بشر لنا أنه ينزل عند منارة دمشق، وأنه يقتل الدجال، ويحارب الأعداء فهم يهزمون. وكذلك ينتصون حججا مغشوشة، ولقد ضل فهمهم فهم مخطئون. ألا يعلمون أن المسيح الموعود يضع الحرب؟ ألا يقرؤون الصحيح للبخاري أو ينسون؟ ومن أين نُبِّأ أن المسيح ينزل بدمشق التي هي قاعدة الشام، وبأي دليل يوقنون؟ أسارَ معهم رسول الله ﷺ إلى دمشق، وأراهم منارة وموضع نزول، أو أراهم صورتها في شقّة من قرطاس، فهم يعرفونها ولا ينكرون؟ أو هي مصرٌ أفضلُ من الحرمين ولها فضيلة على قرى أخرى ويسكن فيها الطيبون؟

وما يُعْرَثُهُم ما جاء في أحاديث نبينا ﷺ لفظُ دمشق، فإن له مفهوما عاما، وهو مشتمل على معان كما يعرفها العارفون. فمنها اسم البلدة، ومنها اسم سيد قوم من نسل كنعان، ومنها ناقة وجمل، ومنها رجل سريع العمل باليدين، ومنها معان أخرى. فما الحق الخاص للمعنى الذي يصرون عليه وعن غيره يعرضون؟

وكذلك لفظ المنارة التي* جاء في الحديث.. فإنه يعني به موضع نور، وقد يطلق على علمٍ يُهتدى به. فهذه إشارة إلى أن المسيح الآتي يُعرف بأنوار تسبق دعواه، فهي تكون له كعلم به يهتدون. ونظيره في القرآن قوله تعالى: ﴿وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾* . فكما أن السراج يعرف بإنارته كذلك المسيحُ يعرف بمنارته.

وما ثبت وجود منارةٍ في شرقي دمشق على عهد رسول الله ﷺ، وما أوماً إليه إذا لارتاب المبطلون، بل هي استعارات مسنونات يعرفها الذين أوتوا العلم، وما يجادل فيها إلا الظالمون. أفلا يدبرون سنن الله أم جاءهم ما لم يأت من قبل فهم له منكرون؟ وأي سر كان في تخصيص بلدة دمشق ومنارتها؟ فبينوا لنا إن كنتم تتبعون أسرار الله ولا تلحدون. أتعجبون من هذه الاستعارة ولا تعلمون أن الاستعارات حُلل كلام الأنبياء، فهم في حلال ينطقون؟ اذكروا قول إبراهيم عليه السلام.. أعني قوله: "غَيْرُ عَتَبَةٍ بَابِك"، ثم انظروا إلى إسماعيل عليه السلام كيف فهم إشارة أبيه. أفهم من العتبة عتبةً أو زوجة؟ فتفكروا أيها المسلمون. وانظروا إلى الفاروق عليه السلام كيف فهم من كسر الباب موته، لا كسر الباب حقيقةً؟ وإن شئتم فاقروا حديث حذيفة في الصحيح للبخاري لعلكم تهتدون.

* سهو، والصحيح: الذي.

* سورة الأحزاب: ٤٧

وقالوا إن المسيح الموعود لا يجيء إلا في وقت خروج الدجال،
 وخروج يأجوج ومأجوج، وما نرى أحدا منهم خارجا، فكيف
 يجوز أن يستقدم المسيح وهم يستأخرون؟ أما الجواب، فاعلموا..
 أرشدكم الله تعالى.. إن هذان لاسمان لقوم تفرّق شعبهم في زماننا
 هذا آخر الزمان وهم في وصف متشاركون. وهم قوم الروس وقوم
 البراطنة وإخوانهم، والدجال فيهم فيجُ قسيسين ودعاة الإنجيل الذين
 يخطون الباطل بالحق ويدخلون. واعتدى* لهم الهند متكأ، وحقت
 كلمة نبينا ﷺ أنهم يخرجون من بلاد المشرق، فهم من مشرق الهند
 خارجون. ولو كان الدجال غير ما قلنا، وكذلك كان قوم يأجوج
 ومأجوج غير هذا القوم، للزم الاختلاف والتناقض في كلام نبي الله
 ﷺ. وأيم الله إن كلام نبينا منزّه عن ذلك، ولكنكم أنتم عن الحق
 مبعدون.

ألا تقرؤون في أصح الكتب بعد كتاب الله أن المسيح يكسر
 الصليب؟ ففي هذا إشارة بيّنة إلى أن المسيح يأتي في وقت قوم
 يعظّمون الصليب.. ألا تفهمون؟ وقد تبين أنهم أعداء الحق، وفي
 أهوائهم يعمهون. وقد تبين أنهم ملكوا مشارق الأرض ومغاربها
 ومن كل حذب ينسلون. وقد تبينت خياناتهم في الدين وفتنهم في
 الشريعة، وفي كل ما يصنعون. أترون لدجالكم المفروض في

* سهو، والصحيح: اعتدت.

أذهانكم سعةً موطئِ قدم في الأرض ما دام فيها هؤلاء؟ فالعجب من عقلكم! من أين تنتحون دجالاً غير علماء هذا القوم، وعلى أي أرض إياه تسلطون؟ ألا تعلمون أن المسيح لا يجيء إلا في وقت عبدة الصليب، فأني تؤفكون؟ ألا ترون أن الله تعالى مكّن هذه الأقسام في أكثر الأرض وأرسل السماء عليهم مدراراً، وآتاهم من كل شيء سبباً، وأعافهم في كل ما يكسبون؟ فكيف يمكن معهم غيرهم الذي تظنون أنه يملك الأرض كلها؟ يا عجباً لفهمكم! أنتم مستيقظون أم نائمون؟ أنسيتم أنكم قد أقررتم أن المسيح يأتي لكسر الصليب؟ فإذا كان الدجال محيطاً على الأرض كلها، فأني يكون من الصليب وملوكه أثر معه.. ألا تعقلون؟ ألا تعلمون أن هذان نقيضان فكيف يجتمعان في وقت واحد أيها الغافلون؟ وإن زعمتم أن الدجال يكون قاهراً فوق أرض الله كلها غير الحرمين، فأني مكان يبقى لغلبة الصليب وأهل الصليب، أنتم تثبتونه أو تشهدون؟ ما لكم لا تفهمون التناقض؟ وأفضى بعض أقوالكم إلى بعض يخالفها، ودخلتم في أقوال رسول ﷺ ثم أنتم على صدقكم تحلفون. وتُضِلُّون الذين ضعفوا قلباً ولُبّاً وعقلاً، وتزيّنون باطلكم في أعينهم، وتزيدون على أقوال الله ورسوله وتنقصون. لن تستطيعوا أن ترفعوا هذه الاختلافات، أو توفّقوا وتطبّقوا ولو حرصتم، ولو كان بعضكم لبعض ظهيراً، فلا تميلوا كل الميل إلى الباطل وأنتم تعلمون. وإن

تقبلوا الحق وتتقوا فإن الله يتوب عليكم، ويغفر لكم ما قد سلف. فليتدبر أهل الحديث في هذا. ومن لم يهتد بعد ما هدي فأولئك هم الفاسقون.

أيها الناس.. قد جاءت علامات آخر الزمان فلم في مجيء المسيح تشكّون؟ تعالوا أتل عليكم بعضها لعلكم ترشدون. فمنها أن نار الفتن والضلالات قد حشرت الناس من المشرق إلى المغرب، وفي ذلك ذكرى لقوم يتقون. وأتى إبليس من بين أيدي الناس، ومن خلفهم وعن شمائلهم، وأبسلوا بما كسبوا، وما عصم من فتنة الله إلا من رحم، وحال بينهم وبين إيمانهم موج الضلالات فهم مغرقون. وكثير منهم ازدادوا كفرا وعداوة بعد ما ارتدوا واعتدوا فيما يفترون. وجاهدوا حق جهادهم أن يطفئوا نور الإسلام، فما استطاعوا أن يضروه، وما استطاعوا أن يظهره، ولمسوا كتاب الله فوجدوه مُلئت حججا بينة ونورا فرجعوا وهم خائبون. وإنه لكبير في أعين الذين يجادلون ظلماً وعُلُوًّا ولكن الظالمين لا يخافون الله ولا يتركون دنياهم ولا يتقون. وذهب الله بنور قلوبهم وبصارة أعينهم. فما فسقوا.. وتركهم في ظلمات فهم لا يبصرون. قلوبهم غُلف، وأعينهم كالمرايا التي ما بقي صفاء فيها، ولا يعلمون إلا الأكل والشرب، وتركوا الله الوحيد، وهم على أندادهم عاكفون. كثرت فتنتهم، وزادت على المسلمين محنهم، وكلّ يوم في ترعرعٍ شجرتهم، وفي تموجٍ ريعهم

وزيادتهم، وتراءوا من كل صقعة وفي دنياهم يزيدون. وترى الإسلام كقفة ما لها من ثمرة، وأقفت دجاجته وما بقي من بيضة، فليك الباكون. ضاعت الأمانة وموضعها، ومحي أثر الديانة ورُفِع شَرَجُهَا، ووئد العلم وخلا العالمون، وبقي العلماء كتنانين، لا يعلمون الديانة ولا الدين، وإلى الأهواء يَأْفِدُونَ. والذين سمو أنفسهم مسلمين أكثرهم أمام ربهم يفسقون. ويشربون الخمر ويزنون، ويظلمون الناس وفي الشهادات يكذبون. وارتدعوا عن الطاعات، ولا يرفعون يدا إلى الصدقات، وإلى المنكرات هم باسطون. وهذه الآفات كلها نزلت عليهم بعد ما نزلت علوم المغرب في قلوبهم، وحرية التنصر في بلادهم، فهم إليهم يُحْشَرُونَ. وهذا هو النبأ الذي قد بينه رسول الله ﷺ وأنتم تقرأونه في صحيح البخاري أو تسمعون. فانظروا إلى فتن العلوم المغربية.. كيف تحشر الأحداث إلى المغرب.. وانظروا كيف صدق الله نبأ رسوله أيها المؤمنون.

واعلموا أن المراد من النار نار الفتن التي جاءت من المغرب، وأحرقت أثواب التقوى. فتارة توعدت السفهاء من لهبها، وأخرى زينت في أعينهم نورها، وراودتهم عن أنفسهم، فهم بما مفتونون. فلا تفهموا من هذه الأنبياء مدلولها الظاهر، ولا تعرضوا عما تشهدون. واعلموا أن لكلمات رسول الله ﷺ شأننا أرفع وأعلى، ولا يفهمها إلا الذي رزقه الله رزقا حسنا من المعارف، وأعطاه قلبا

يفهم، وعيناً تبصر، وأذناً تسمع، فهو على بصيرة من ربه، ولا يلقاها إلا الذين ما بقي لهم عين ولا أثر وهم يفنون في رسول الله ﷺ بحيث يصير وجودهم منخلعاً عن أحكامه، وبأحكام وجود النبي ينصبون. فأولئك الذين يُملأ صدورهم من علم النبي، ويؤتون حظاً من أنواره، ومن عينه يشربون. ويعطى لهم نصيب من صرافة العصمة والحكمة، ويسقون من كأس مزاجها من تسنيم، ويزكّون بجلال الله وسلطانه، وبحفظهم* يحفظون. ثم يرثهم السعيد الذي يستمع كلامهم بحسن الظن والقبول، ويتبعهم ويلزمهم، ويؤثر نفسهم لكسر سورة نفسه، ويغيب فيهم بحبته، فيخرج كالدر المكنون. والحمد لله الذي جعلني منهم، فليمتحن الممتحنون.

لقد جثتكم بالحكمة والبصيرة من ربي، ولأبيّن لهم بعض الذي كانوا فيه يختلفون. وفرّقوا الإسلام وجعلوا أهله شيعاً، وبعضهم على بعض يصلون ويكفرون. فالآن نناديهم في عراء، فهل منهم مبارزون؟ وقد دعوناهم إلى المقاومة فهم عنها معرضون. أم أبرموا أمراً فإنا مبرمون. أم يحسبون أن الله لا يميز بين الخبيث والطيب.. ما لهم كيف يتفكرون؟ وإني أفوض أمري إلى الله، وأصفح عنهم فسوف يعلمون.

*سهو، والصحيح: بحفظه.

ومن علامات آخر الزمان التي أخبر الله تعالى منها في القرآن واقعات نادرة تشاهدونها في هذا الزمان وتجدون. وقد بين لنا علاماته وقال: إذا الجبال سيرت، وإذا البحار فجّرت، وإذا العشار عطّلت، وإذا النفوس زوّجت، وإذا الصحف نُشرت. إذا زلزلت الأرض... الآية، وإذا الأرض مُدّت، وألقت ما فيها وتخلّت، وإذا الكواكب انتشرت، وإذا الوحوش حُشرت. وفي كل ذلك أنباء آخر الزمان لقوم يتفكرون.

أما تسيير الجبال فقد رأيتكم بأعينكم أن الجبال كيف سيرت وأزيلت من مواضعها وحيامها هدمت، وقنونها لاقّت الوهاد وصفوفها تقوضت، تمشون على مناكبها وتأفدون.

وأما تفجير البحار فقد رأيتكم أن الله بعث قوما فجّروا البحار وأجرّوا الأنهار وهم على تفجيرها مداومون. وأحاطوا على دقائق علم تفجير الأنهار وأفاضوها على كل واد غير ذي زرع، ليعمروا الأرض ويدفعوا بلايا القحط من أهلها وكذلك يعملون، لينتفعوا من الأرض حق الانتفاع فهم منتفعون.

وأما تعطيل العشار فهو إشارة إلى وابور البر الذي عطّل العشار والقلاص فلا يُسعى عليها، والخلق على الوابور يركبون. ويحملون عليه أوزارهم وأثقالهم، وكطيّ الأرض من مُلك إلى ملك يصلون. ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

جعل الله على قلوبهم أكنة أن يفقهوا أسرارَه، وفي آذانهم وقرا فهم لا يسمعون. وإذا وجدوا صنعة من صنائع الناس.. ولو من أيدي الكفرة.. يأخذونها لينتفعوا بها، وإذا رأوا صنعة رحمة من الله فيردّون.

وأما تزويج النفوس فهو على أنحاء.. منها إشارة إلى التلغراف الذي يُمِدُّ الناس في كل ساعة العسرة، ويأتي بأخبار أعزّة كانوا بأقصى الأرض، فينبئ من حالهم قبل أن يقوم المستفسر من مقامه، ويُدير بين المشرقي والمغربي سؤالا وجوابا كأنهم ملاقون. ويخبر المضطرين بأسرع ساعة من أحوال أشخاص هم في أمرهم مشفقون. فلا شك أنه يزوّج نفسين من مكانين بعيدين، فيكلم بعضهم بالبعض كأنه لا حجاب بينهم وكأنهم متقاربون.

ومنها إشارة إلى أمن طرق البحر والبر ورفع الحرج، فيسير الناس من بلاد إلى بلاد ولا يخافون. ولا شك أن في هذا الزمان زادت تعلقات البلاد بالبلاد، وتعارف الناس بالناس فهم في كل يوم يزوّجون. وزوّج الله التجار بالتجار، وأهل الثغور بأهل الثغور، وأهل الحرفة بأهل الحرفة، فهم في جلب النفع ودفْع الضرر متشاركون. وفي كل نعمة وسرور، ولباس وطعام وحبور، متعاونون. ويُجلب كل شيء من حطة إلى حطة، فانظر كيف زوّج الناس كأنهم في قاربٍ واحدٍ جالسون.

ومن أسباب هذا التزويج سير الناس في وابور البر والبحر، فهم في تلك الأسفار يتعارفون. ومن أسبابه مکتوبات قد أحسنت طرق إرسالها، فترى أنها ترسل إلى أقاصي الأرض وأرجائها، وإن أمعنت النظر فتعجبك كثرة إرسالها، ولن تجد نظيرها في أول الزمان، وكذلك تعجبك كثرة المسافرين والتجارين. فتلك وسائل تزويج الناس وتعارفهم، ما كان منها أثر من قبل وإني أنشدتكم الله.. أرأيتم مثلها قبل هذا أو كنتم في كتب تقرأون؟

وأما نشر الصحف فهو إشارة إلى وسائلها التي هي المطابع، كما ترى أن الله بعث قومًا أوجدوا آلات الطبع، فكأين من مطبع يوجد في الهند وغيره من البلاد. ذلك فعل الله لينصرنا في أمرنا، وليشيع ديننا وكتبنا، ويبلغ معارفنا إلى كل قومٍ لعلمهم يستمعون إليه ولعلمهم يرشدون.

وأما زلزلة الأرض وإلقاؤها ما فيها فهي إشارة إلى انقلاب عظيم ترونه بأعينكم، وإيماء إلى ظهور علوم الأرض وبدائعها وصنائعها، وبدعائها وسيئاتها، ومكايدها وخدعاتها، وكل ما يصنعون.

وأما انتشار الكواكب فهو إشارة إلى فتن العلماء وذهاب المتقين منهم، كما أنكم ترون أن آثار العلم قد امتحت وعفت. والذين كانوا أوتوا العلم فبعضهم ماتوا وبعضهم عموا وصبوا، ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصبوا، وكثير منهم فاسقون، والله بصير بما يعملون.

وأما حشر الوحوش فهو إشارة إلى كثرة الجاهلين الفاسقين، وذهاب الديانة والتقوى، فترون بأعينكم كيف نزع بئر الصلاح وأصبح ماؤه غورا، وأكثر الخلق يسعون إلى الشر وفي أمور الدين يدهنون. إذا رأوا شرًّا فيأخذونه، وإذا رأوا خيرا فهم على أعقابهم ينقلبون. ينظرون إلى صنائع الكفرة بنظر الحب، وعن صنع الله يعرضون.

أيها الناس.. انظروا إلى آلاء الله.. كيف جدّد زمنكم، وأبدع هيئة دهركم، وأترع فيه عجائب ما رأها أعين آبائكم ولا أجدادكم، وأنتم بها تُتَرَفُونَ. وعلم أهل أوروبا صنعة وابور البرّ إهداء لكم ولعشيرتكم لعلكم تشكرون. انظروا إليها كيف تجري بأمره في البراري والعرمان، تركبونها ليلا ونهارا، وتذهبون بغير تعب إلى ما تشاءون. وكذلك فهم أهل المغرب صنائع دون ذلك من آلات الحرث والحرب، والعمارات والطحن واللبوس، وأنواع أدوات جر الثقيل، وما يتعلق بتزيينات المدن والمنازل وتسهيل مهماتها، فأنتم ترغبون فيها وتستعملون. وتجدون في كل شهر وسنة من إيجادات غريبة نادرة، لم تر عينكم مثلها، فمنها ما يُمدّكم في عيشتكم، وتنجيكم من شقّ الأنفس، كصناديق طاقة الكبريت التي بها توقدون، وكزيت الغاز الذي منه مصابيحكم تنيرون. ومنها صنائع هي زينة بيوتكم، فتأخذونها وأنتم مستبشرون.

فانظروا وتفكروا.. إن الله ربكم الرب الكريم الذي أعطاكم من كل نوادر الأرض وأملاً ببيوتكم منها، فكيف تعجبون من نزول نوادر السماء وتستبعدون؟ وتسرون بأشياء دنياكم التي هي أيام معدودات، ولا تنظرون إلى زاد عقباكم ولا تبالون. وكيف تعجبون من نزول المسيح وأيام الفضل الروحاني، وأنتم ترون عجائب فضل الله قد تجلت لإراحة أجسامكم بصور جديدة، وحلل نادرة، ما تجدون مثلها في أيام آبائكم. أفتؤمنون بعجائب الكفار ويفعل الله تكفرون؟ وتيسون من قدرة الله، ومن قدرة الخلق لا تيسون؟ ما لكم لا تعرفون أفعال الله النادرة ببعض أفعاله التي تعرفونها وتشاهدون؟ أكنتم مطلعين من قبل على هذه النوادر التي ظهرت في زمانكم من وابور البر والتلغراف وصنائع أخرى. كانت هي كلها مكتوبة في القرآن ولكنكم كنتم لا تفهمون، وكذلك ما فهتمم سر نزول المسيح من غرارتكم، وقد كان مكتوبا في كتاب الله. وما كان لبشر أن يفهم شيئا قبل تفهيم الله، ولو كان النبيون.

والعجب كل العجب منكم أنكم لا تظهرون كراهة في قبول صناعات جديدة مفيدة لأجسامكم، ولكن إذا دعوتكم إلى صنع الله الذي أتقن كل شيء، ورأيتموه في أعينكم غريبا نادرا، فأظهرتم كراهة وسخطة، وأبيتم وأنتم تعلمون.

أيها الناس.. ما جئت بأمر منكر، وقد شهد الله على صدقي، ورأيتم بعض آياتي، ووجدتم ذكر زمي في كتاب الله الذي به تؤمنون. والله نكّر الأمر في أعينكم ليبتلي علمكم وتقواكم، فاعتزّت فتنته وأنتم غافلون. أيها الإخوان! خذوا كتاب الله بأيديكم ثم تدبروا فيه.. هل جاء وقت آخر الزمان أو في مجيئه حقب وقرون؟ إنكم تعلمون أن المسيح يأتي في آخر الزمان، وقد رأيتم بأعينكم علاماته، وشاهدتم النواذر الأرضية التي جعلها القرآن الكريم من آثار الزمن المتأخر، وأنتم منها تنتفعون. فما لكم لا تؤمنون بالنواذر السماوية التي تدل عليها الآية الكريمة.. أعني بذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾^①، وتُخلدون إلى الأرض ومن آلاء السماء تبعدون؟

وقد بشر الرب الكريم في هذا الأمر بشارة أخرى بقوله: ﴿وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ﴾^② ولكن تنسون بشارات ربكم وفي آياته تُلحدون. اعلّموا أيها الأعزة.. أن السماء والأرض كانتا رتقًا ففتقهما الله، فكُشِطت السماء بأمره وصدعت، ونزلت نواذر وخرجت، ليبتلي الله عباده إلى أيّ جهةٍ يميلون. وتقدمت نواذر الأرض على نواذر السماء، فاغتر الناس بصنائعها وعجائب علومها وغرائب فنونها،

① سورة التكويد: ١٢.

② سورة الحجر: ١٠.

وكادوا يهلكون. فنظر الرب الكريم إلى الأرض ورآها مملوءة من المهلكات، ومترعة من المفسدات، ورأى الخلق مفتونا بنوادرها، ورأى المنتصرين أنهم ضلوا ويضلّون، ورأى فلاسفتهم اختلبوا الناس بعلومهم ونوادرنهم، فوقعت تلك العلوم في قلوب الأحداث بموقع عظيم كأنهم سُحروا فجذبوا إلى الشهوات واستيفاء اللذات، والتحقوا بالبهائم والحشرات، وعصوا ربهم وأبويهم وأكابرهم، وأشربوا في قلوبهم الحرّية، وغلبت عليهم الخلاعة والمجون. فأراد الله أن يحفظ عزة كتابه ودين طلابه، من فتن تلك النوادر كما وعد في قوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾. فأنجز وعده، وأيد عبده، فضلا منه ورحمة، وأوحى إليّ أن أقوم بالإنذار، وأنزل معي نوادر النكات والعلوم والتأييدات من السماء، ليكسر بها نوادر المنتصرين وصلبيهم، ويحتقر أديهم وأديهم، ويدحض حجّتهم، ويفحم بعيدهم وقريبهم. فمظهر نوادر الأرض وفتنّها هو الذي سمي بالدجال المعهود، ومظهر نوادر السماء وأنوارها هو الذي سمي بالمسيح الموعود. خصمان تقابلا في زمن واحد، فليستمع المستمعون.

فالآية الأولى من آيات صدقي أني أرسلت في وقت هذه الفتن التي قد أشار كتاب الله إليها. فأنزلي ربي من السماء كما أخرج الفتن من الأرض، وتكلم في استعارات وآيدي كما أيد الصادقون. انظروا إلى الأيام التي كانت قبلكم من اليوم التي خلق الله فيه

الإنسان.. هل شاعت وغلبت مثل هذه الفتن العظيمة على وجه الأرض؟ أو هل سمع نظيرها ونظير نوادرها في شيع الأولين؟ فما لكم لا تتفكرون؟ أما ترون كيف تُردّ آيات الله بأقوال الفلاسفة وتستهزأ بها، وتكتب في ردها ألوف من كتب، هل سمعتم مثلها من قبل أيها المؤرخون؟ هل سمعتم من قبل توهين الرسول الكريم وسبّه وطعنًا في دينه، والضحك عليه، كما أنكم في هذا الزمان تسمعون؟ أو هل سمع أحد من الأولين ازدراء كتاب الله واحتقار رسوله بألفاظ شنيعة مؤلمة كما تسمعها آذانكم؟ فلم تعجبون من رحمة الله في هذا الطوفان أيها النائمون؟ ألا ترون كيف يسخرون منكم ومن دينكم؟ سخر الله منهم وأصمهم وأعماهم فهم لا يُبصرون.

أيها الأعزة.. هل أتى زمان على أحد كما أتى عليكم؟ سمعتم من أهل الكتاب أذى كثيرا وسبقوا في الافتراء والسب والإيذاء، وصبّت على الإسلام مصائب. ترثع الحمير في مرعى الخيل، وترثع الكلاب على الغيل بشدة الميل، فأى زمان بعد ذلك تنتظرون؟

ومن آيات صدقي أنه تعالى وفقني باتباع رسوله واقتداء نبيه ﷺ، فما رأيت أثرا من آثار النبي ﷺ إلا قفوته، ولا جبلا من جبال المشكلات إلا علوته، وألحقني ربي بالذين هم ينعمون.

ومن آيات صدقي أنه أظهرني على كثير من أمور الغيب، وهو لا يظهر على غيبه أحدا إلا الذين هم يرسلون.

ومن آيات صدقي أنه يجيب دعواتي، ويتولى حاجاتي، ويبارك في أفعالي وكلماتي، ويوالي من والاني، ويعادي من عاداني، وينبئني مما يكتُمون. وإنه سمع كثيرا من بكائي، ورفعني إذا حررت أمامه، وأجاب أدعيةً لا أستطيع إحصاءها، وأحسن مثواي ومنّ عليّ بآلاءٍ ليست لي ألفاظ لبيائها، وأتمّ عليّ رحمته في الدنيا والآخرة، وجعلني من الذين ينصرون. وخاطبني وقال: "يا أحمدي، أنت مرادي ومعني. أنت مني بمنزلة توحيدني وتفريدي. فحان أن تُعان وتُعرف بين الناس. أنت مني بمنزلة لا يعلمها الخلق". فكلّمني بكلمات لو كانت لي الدنيا كلها ما أسرّني كما أسرّني هذه الكلمات المحبوبة. فروحي فداءً سبيله، هو وليي في الدنيا والآخرة. ما أصابني ظمأ ولا نصب ولا محمصة إلا أتاني لنصرتي، وأرى آلاءه واردةً تترا عليّ كالذين لا يستحسرون.

ومن آيات صدقي أنه أعطاني علم القرآن، وأخبرني من دقائق الفرقان، الذي لا يمسه إلا المطهّرون.

ومن آيات صدقي أنه أدبني فأحسن تأديبي، وجعل مشربي الصبر والرضاء والموافقة لربي والاتباع لرسولي. وأودع في فطرتي رموز العرفان، وجعلني عارفا لمصالح الأمور ومفاسدها، وأدخلني في الذين هم منفردون.

يا مشايخ العرب وأصفياء الحرمين.. هذه هي الأخبار والمواظ
التي عرضتها على علماء الهند، ونبّتهم فلم ينتبهوا، ووعظت فلم
يتعظوا، وأيقظت فلم يستيقظوا، ووقعوا في ظنون الجاهلية، وهمّوا
بتكفيري وتكذيبي، وأخذوا بتلايبي، وهم على قولهم يصرون.
وقد أتمت عليهم حجتي، وابتلج عليهم صباح صدقي، ووجدوا
بدعوتي واستيقنتها أنفسهم وهم بلسانهم منكرون. وإني أرى قلوبهم
وَجَلَّةً، وفي مهجتهم حسرة وكربة، وتراءى لهم الحق وهم
يتجاهلون. وأرى أنهم قد تفرقوا وكانوا في أمري أزواجاً شتّى،
فبعضهم صدقي وهم ضعفاؤهم وأتقياؤهم، وبعضهم كذبي
وأعرض وازدراني في عينه كبراً وقلّي، وهم الذين يستكبرون. وإني
أرى المصدقين أنهم يزيدون، وأرى المكذبين أنهم ينقصون، ويأتي
الأرض ربي ينقصها من أطرافها، ويفهم القلوب، ويفتح العيون،
ويزيل الظنون. والذين يأتونني بتوسم الأتقياء فهم يعرفونني
ويبايعون. يشحذ بصيرة تقواهم فهم لا يترددون.

وقد أنبأني ربي أنني كسفينة نوح للخلق، فمن أتاني ودخل في
البيعة فقد نجا من الضيعة، فطوبى لقوم هم ينجون. وما أمر الناس
إلا بالقرآن، وإلى القرآن، وإلى طاعة الرب الذي إليه يرجعون. إن
الله قد رأى في قلوب الناس، وجوارح الناس، وأعين الناس، وأذان
الناس، ونيات الناس، ذنوباً وآثاماً وإجراماً، ورآهم ملوثين بأنواع

المعاصي والخطيات، فأقام عبداً من عباده لدعوتهم إلى لبّ الدين وحقيقة الشريعة التي ما ذاق الناس طعمها، فهم منها مهجورون.

أيها الإخوان من العرب ومن مصر وبلاد الشام وغيرها.. إني لما رأيت أن هذه النعمة نعمة عظيمة، ومائدة نازلة من السماء، وآية كريمة من الله ذي العطاء، فلم تطب نفسي أن لا أشاركم فيها، ورأيت التبليغ حقاً واجباً، وديننا لازماً لا يسقط بدون الأداء، فها أنا قد قلت لكم ما تبدّى لي من ربي، وانتظر كيف تجيبون.

ووالله إني مأمور من الله الذي أرسل نبينا وسيدنا محمداً المصطفى ﷺ لهداية كافة الناس. وأعلم من الله أنه لا يضيعني، وقد خلع علي من حلل الولاية، وسقاني من كأسها، وأعطاني ما يعطى المقربون. وأرى بركاته نازلةً على أنفاسي، وعلى قلبي ولساني، وعلى فهمي وبياني، وعلى جدران بيتي وعتبة بابي وأُسْكُفَّتِها، فهل أنتم تقبلون؟ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون. وإني متوكل على ربي، وأفوض أمري إلى الله، وأدعو الله أن يصفني خلقه من خبث الأهواء، ويلهمهم فعلَ الخيرات وقبولَ نداء أهل الاجتباء، وينجيهم في الدنيا والآخرة من سوء الخزي وجهد البلاء، ويُلحقهم بالذين هم صادقون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله الذي يهب الإيمان، ويفتح الآذان، وينور العيون، ويزيل الظنون.

تتمة البيان . .

في ذكر بعض السوانح

ومنن الله المنان

أيها الإخوان، قد أُلقيَ بيالي، من بعد ما تمَّتْ مكتوبي وأتممت مقالي، أن أكشف القناع عن بعض سوانحي وسوانح آبائي، لتعلموا ما أسبغ الله عليّ من العطاء، وربّاني من أيدي المنن والآلاء، ولكي يحصل لكم بصيرة تامّة في أموري ومهامي، ويتضح وينكشف عليكم مسكني ومستقري ومقامي، ولعل الله يقبل قلوبكم وتأتوني مسترشدين، أو تراسلونني وتسالون.

فاعلموا.. أيديكم الله.. أن آبائي كانوا الفارسيين أصلا ومن سادة القوم وأمرائهم. ثم قادهم قضاء الرحمن إلى بلدة "سمرقند"، فلبثوا فيه برهة من الزمان، والله يعلم بما لبثوا، ولا علم لي إلا ما أنبتُ من صحفهم التي كانوا يكتبون. ثم بدا لهم أن يسيروا إلى أرض الهند، فسافروا من وطنهم، وانحدروا إلى بعض أضلاع منها يقال لها "فنجاب"، ووجدوا في بعض نواحيها أرضا طيبة مُخصبة،

صالحة الهواء عذبة الماء، فألقوا بها عصا التسيار، ونزلوا فيها بنية الاستقرار، وكانوا متغربين في نفر من قومهم.. منهم السادة ومنهم الخادمون. فأواهم الله في تلك الأرض، وبوأهم ميوأ عزة، ومكّنهم. فعمرّوا فيها قرية، وسموها: "إسلام بور" (المعروف بقاديان)، ذلك بأنهم أرادوا أن يسكنوها جماعة المسلمين من أعزّهم، ليكون بعضهم لبعض ظهيرا، ولعلمهم يحفظون أنفسهم من الأعداء، وإذا أصابهم البغي ينتصرون. وسكنوها وتملكوا، وأثروا وبوركوا، وكان هذه الواقعة في أيام دولة الملوك الجغتائية، الذين كانوا من أقوام الجليل، وكان زمام الحكومة إذ ذاك بيد اقتدار الملك الذي كان اسمه "بابر"، وكان من الذين يكرمون الشرفاء ويعظمون. فأعزّهم وأكرمهم، وأعطاهم قرى كثيرة، وجعلهم من أمراء هذه الديار وأهل الأرضين، وعظماء الحرائين وزعمائهم، ومن الذين يتملكون.

فرّقوا في مدارج الإقبال، وزادوا أموالا وأراضي وإمارّة، وكانوا.. مع إماراتهم وثروتهم.. يتقون الله، وفي سبل الخير يسلكون. وفي أيام إمارتهم تهلّل وجه الإسلام في رعاياهم وأقوامهم، وكانوا أتقياء، وكانت الأمم لهم يخضعون. وكانوا يرغبون في الصالحات، وفعل الخيرات، ويمسكون بكتاب الله، وينصرون دين الله، وإلى نواب الحق يَأفدون.

وبعد ذلك الأيام.. قُلب أمر سلطنة الإسلام، وتطرق الاختلال والضعف فيها، ليصيب الذين أحرَموا من الملوك صغار من عند الله، وعذاب شديد بما كانوا نسوا حدود الله، وبما كانوا يعتدون. فصاروا طرائقَ قَدَدًا.. يبغى بعضهم على بعض، ويقتلون أنفسهم ويفسدون. وتركوا كل رشدٍ وصلاح، ومالوا إلى ما يباين الورع، وكانوا في أعمالهم يعتدون. ولم يبق فيهم من يتعاشر بالمعروف، ويرحم على الضعيف المؤوف، بل عاقب بعضهم بعضًا بالسيوف، وأرادوا أن يأكلوا شركاءهم، ويستأصلوا إخوانهم، وأكابرهم وآباءهم، وكانوا من بعدهم كالذين لا شريك لهم في الملك وهم متوحدون. وأكثرهم كانوا يعملون السيئات، ويستوفون دقائق الشهوات، ويتركون فرائض الله وحدوده، وإلى شرك الأهواء يُوفضون ثم لا يُقَصِّرون. وفرحوا بما عندهم من الدنيا، واستقرأوا طرقا منكراً، وأخذوا سبلا منقلة، وطاغوا وزاغوا، وانتهى أمرهم إلى فساد ذات البين، فسقطوا من الزين في الشين، فغيَّرَ زمانهم، وقُلبَ دهرهم، ذلك بأن الله لا يرضى أن يرث أرضه الفاسقون. وكان بعضهم كمثل الذين ارتدوا من دين الإسلام، وخلعوا عنهم رداء أسوة خير الأنام، وكانوا لا يعرفون نعماء الله ولا يشكرون. فغضب الله عليهم، ومزق ملكهم، وجعله عضين، وبعث أقوامًا كانوا يبسطون أيديهم إلى ممالكهم ويقتسمون.

وكان ذلك الزمن زمان طوائف الملوك، وكانوا إلى ثغورهم يحكمون. وكان آبائي منهم، يأمرون على ثغورهم، وكالملوك على قراهم يقتدرون. وكان يُرْفَع إليهم ما وقع في رعاياهم، فكانوا يحكمون كيف يشاءون، ولا يخافون إلا الله ولا يستجيزون أحدا ولا يستأذنون.

ثم نُقل صلحاء آبائي إلى جوار رحمة الله، وخلف من بعدهم قوم أضاعوا الصالحات المسنونات، وما رعَوْها حق رعايتها، ووقعوا في البدعات والرسوم وما تَعافَوْها، وكانوا لديانهم يلتاعون. وكذلك هبَّت الريح في تلك الأيام على جميع أمراء المسلمين وطوائف ملوكهم، وغفلوا من الانقياد إلى الله والإحبات له، وعصوا أحكام القرآن، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، وكانوا يراءون ولا يخلصون.

ونظر الله إليهم فوجدهم كأجساد لا أرواح فيها، ورآهم أنهم انتكسوا على الدنيا وكانوا مما سواها يستوحشون. وكانوا يشفقون على مهمات دنياهم وعلى الدين لا يشفقون. وتلطخوا بقاذورات النشأة الأولى، وغفلوا عن النشأة الثانية، فما طلبوها وما كانوا يطلبون. فاقتضت حكمة الله تعالى لينبهم، وأراد أن ينزع الملك منهم، ويؤتي قوماً من عبدة الأوثان كانوا يسمون أنفسهم "خالصة"، وكانوا أميين لا يعلمون شيئاً ولا يعقلون. فأهاج الله

تقرّيات عجيبة لنصرتهم وإقبالهم، وإزعاج شجرة المسلمين وحطمهم، ليعلموا أنهم فسقوا أمام ربهم وأنهم ظالمون.

فقام "الخالصة" بجميع الجهد والهمة ليستأصلوا المسلمين، ويصفو ملكهم لهم، وأعانهم الله عوناً عجيباً، فكانوا في كل موطن يغلبون. ففي هذه الأيام صبت على آبائي حوادث ونوازل، واستولى "الخالصة" على بلادهم وجاسوا ديارهم، وغضبوا ملكهم ورياستهم واستخلصوها من أيديهم، ونهبوا أموالهم وخرّبوا عماراتهم، وفرّقوا أجيالهم، وأحرقوا دار كتبهم، وأُحرق فيها زهاء خمسمائة مجلدات كتاب الله الفرقان، وكان المسلمون ينظرون إليها وييكون. واتخذوا مساجدهم معابد أصنامهم، وقتلوا كثيراً ممّن بحسامهم، وجعلوا أعزّتنا أذلة. حتى إذا بلغت الكربة منتهاها، وأحاطت الهموم على آبائي، وضافت الأرض عليهم بما رحبت، وأخرجوا من دار رياستهم، في نفر من إخوانهم وعبيدهم وخدمهم، فكانوا في كل أرض يتيهون. وأظهر الكفرة في بلادهم شعائر الكفر، ومحو آثار الإسلام وجعلوها غنائاً، وقلّبوا الأمور كلها وكذلك كانوا يفعلون. فأصابت المسلمين في هذه الأيام مصيبة عظيمة، وداهية عامة، وما كان لأحد أن يؤذن في مسجد، أو يقرأ القرآن جهراً، أو يُدخل أحدًا من الهنود في دين الله، أو يذبح بقرة، وكان الجزاء في كل هذه الأمور القتل والنهب، وإن حُفّف فتقطيع الأيدي والأرجل، وإن

رُحِمَ عليه فالحبس الشديد حتى يموت في السجن ظمأً ومخمصةً وهم يشهدون.

وكان المسلمون مظلومين مجروحين مغصوبين مضروبين كل الأيام، وما كان لهم محيص ولا مناص، ولا مخلص ولا راحم، وكانوا من كل باب يُطْرَدون. وكانوا بينون بيتًا ولا بيتون فيها، ويكسبون أموالا ولا ينتفعون منها ولا يحظون. وكانوا من كل جهة سُتت الغارات عليهم ويُنهَبون. وكانوا تارة يُحبسون، وتارة يُقتلون، وأخرى إلى السبي يذهبون. وكانوا يزرعون بجهد مُهجتهم ولا يأكلون مما زرعوا شيئًا ولا يدَّخرون. صيرت المدن خربة، والطرق مخوفة، والزروع معدومة، والأموال مفقودة، والمساجد موحشة، والعلوم موعودة، وكان المسلمون في أعينهم كالجراد وفي الازدراء يزيدون. وكان طائفة منهم يهاجرون إلى بلاد أخرى ويتركون بيوتهم ومسكنهم، وعلى جناح التعجيل يرحلون. وأكثرهم كانوا كالمقيدين بأيدي الكفرة، وكانت الفجرة كالأفاعي يصلون على المؤمنين ويلقون.

فتاب المسلمون إلى ربهم، وطحوا بين يدي مولاهم الكريم، وكانوا في المساجد يحرون على المساجد، ويدعون عليهم، ولكشف هذا الرجز يتضرعون. وقد قتل ألوف منهم بما أذنوا وصلوا، وذبحوا بقرة أو عقروا، وما كان لهم حكم ليرفعوا قضاياهم إليه، ولا كهف

ليكوا على باب، فكانوا في كل وقت إلى رهم يرجعون. وأوذوا وعذبوا وكادت أن تزهق أنفسهم وهم يندبون ويرثون. وزلزلوا زلزالا شديدا، وقتلوا تفتيلا شنيعا، وبُدِّدوا تبديدا، حتى صعد إلى العرش عويل اليتامى، ونياح الأرامل، وضجيج الضعفة، وارتعدت الأرض تحت أقدام الكفرة، وأخذت المقربون أذيال رحمة الله وهم يشفعون.

فلما اجتمعت أدعية الضعفاء والمضطرين في حضرة الله تعالى، ولحقت بها توجهات المقربين، وتواطأت الأسباب من كل جهة وطف، ورأى الله تعالى أن المسلمين أصيبوا في مالهم، وأنفسهم وعيالهم، وأعراضهم ورحالهم، وعقائدهم وأعمالهم، ورأى أن المصيبة قد بلغت انتهاءها، فنظر نظر التحنن والترحم إلى المذنبين، وادَّكرَ قومَه الذين هم عباده المنتخبون، الذين إذا استغفروا متندمين فيُغفرون، وإذا استنزلوا الرحمة باكين فيُرحمون، وإذا استغاثوا متضرعين فيُنصرون، وإذا خروا ساجدين عند حدوث نازلة يسعى الله إليهم ويؤيدون، وإذا جاءوا تَوَّابِينَ فيُقبَلون. وأجبت الدعوات، وسمعت التضرعات، واشتد غضب الله على "الخالصة" وقضى بهلاكهم وهم غافلون.

فلما حان وقت هلاكهم أغرى الله بينهم العداوة والبغضاء، يقتل بعضهم بعضا، فكانوا كالسباع يفترسون أعزَّتهم ويسفكون. وأراد

كل واحد منهم أن يقطع دابر أخيه، وأسرّوا في أنفسهم استيصال شركائهم، وقالوا لو قتلنا هؤلاء فبعدهم إنا لنحن الحاكمون. فسلبوا سيوفهم على آبائهم وأعمامهم، وإخوانهم وأبنائهم، ففُضِيَ الأمر في أيام معدودات، وأذاقهم الله ما كانوا يستباحون. وهم في تلك الأيام تفرقوا وصاروا شيعة، وجعلوا يفسدون في الأرض ويقطعون الطريق، ويصلون على المسافرين كالسباع، وبإدلال الدولة الفانية يستكبرون. وما كان لهم علمٌ ليتهدّبوا، ولا قلب ليفهموا، ولا آذان ليسمعوا، ولا أعين ليصروا، وكانوا كالوحوش البرية، فودّروا الآخرة وألغوها، وكانوا يقعون على الآجلة كالكلب على الجيفة أو يزيدون. فما بقي من مهجّة ولا شعب إلا شَعَبُوا عليها، وما رأوا من أموال إلا نهبوها، وكان سفك دماء المسلمين عندهم أخفّ من قتل بعوضة، وكانوا على قتلهم يحرصون. وكانوا كذابين غدارين، لا يرقبون إلّهم، ولا يرعون حلفهم، وينقضون العهود، وينكثون الأيمان ولا يتقون.

فأراد الله أن يأسو جروح المسلمين، ويفكّ رقبتهم من نير الظالمين، وينقذهم من سجن الفرعونيين، ويمنّ على الذين كانوا يُستضعفون. فدعا قومًا من أقصى الأرض، فنسلوا إلى دويرتهم الخريبة، ينقصونها من أطرافها، وجاءوا بأفواج كرارة مبشرة بنجاح وفتح، ونزلوا بعراء بلدة اسمها: "فيروز بور"، وكان المسلمون برّياً

قدومهم يفرحون. فما كان "للخالصة" الدنيّة أن يقاوموهم أو يحاربوهم، وألقى الله عليهم الفشل، كأنّ الدم عُصِرَ من أبدانهم، فواجهوا إلى بيوتهم وهم يُهزَمون. وألقى الله في قلوبهم رعباً عجيباً، وهيج البلايل في صدورهم، وأضرم في أحشائهم جمرة حب الحياة، فولوا الدبر كالحنّاثي وهم ييكون. وعاقبتهم فتية قوم كان عون الله معهم، وسقطوا على وجوههم المسودة الدميمة كالشهب، فكثير منهم قُتلوا، وكثير غرقوا في اليم، وكثير شابهوا الأموات وهم يهربون. وهربت الحواس من بطون دماغهم، كأنه خدرت أعضاؤهم كلها أو هم مفلوجون. وأقرّ الله أعين المسلمين برؤية رايات أنصارهم، ودُققت "الخالصة" على وجه الأرض كالعروق الصغار المنتسجة على سطح جلد البعوضة، وتراءوا كالمغشي عليه من الموت، وتيقنوا أنّهم سيوبقون. وكان المسلمون يدعون لقاتلي "الخالصة" قائلين: جُزيتم خيراً، ووقيتم ضيراً، إنكم محسنونا، وإن كفرنا فإنّا ظالمون. فمحا الله بأيديهم اسم "الخالصة" من تحت السماء، واستأصلهم من أرضهم، ورفع مؤونتهم من خلقه، فما ترى منهم من أثر، كأن الأرض ابتلعتهم، فيا للعجبية أيها الناظرون! والآن نقص عليكم قليلاً من حالات هذا القوم الذي جعله الله للمسلمين أوامرٍ رحمه، وأرسلهم لنا كالناصر الحارّد، أو المغنم البارد، ليجزي المؤذنين المملططين جزاء أعمالهم، ويؤمّن قوما كانوا

يخوفون. وإني أرى أن أذكرهم بتذكرة مميزة على حدة، منزهة من مشاركة ذكر "الخالصة"، إكراما لنعمة الله تعالى، لعل الله يجعلنا من الذين يعظمون نعماءه ويشكرون، ولأتبع سبيل السيد ﷺ الذي سنّ الشكر للناس وقال: من لم يشكر الناس فلم يشكر الله، ونستكفي به الافتتانَ بإطراء في مدح، أو إغضاء عند قدح، ولا نقول إلا الحق، فليشهد الشاهدون.

ذكر الدولة البريطانية

وقيصرة الهند

جزاها الله عنا خير الجزاء

اعلموا أيها الإخوان.. أننا قد نجونا من أيدي الظالمين، في ظل دولة هذه المليكة التي نَمَقْنَا اسمها في العنوان، التي نَضَرْنَا في حكومتها كنضارة الأرض في أيام التَّهْتَان. هي أعزّ من الزَّبَاء بملكها وملكوتها، اللهم بارك لنا وجودها وجودها، واحفظْ مُلكها من مكائد الروس ومما يصنعون. قد رأينا منها الإحسان الكثير، والعيش النضير، فإن فرطنا في جنبها فقد فرطنا في جنب الله، وإن شر الدواب عند الله الأشرار الذين يؤذون المحسنين، ويُتَبِعُونَ المريحين، فالله يضع الفأس على أشجار حياتهم فهم يُقْطَعُونَ.

أيها الناس.. إنا كنا قبل عهد دولة هذه المليكة المكرمة مخذولين مطرودين من كل طرف، لا نعرف سكنا، ولا نملك مسكنا، وكانت "الخالصة" يخطفون أموالنا خطفة الباشق، ثم يمرقون مروق السهم الراشق وينسلون. وكنا كالذين في المعامي والموامي يُستفردون، ومن لظى الغربية يتأججون. فنجانا الله من هذه البلايا

كلها، وأعاننا بقوم ذي الوجه البدري، واللون الدرّي، فعادت بقدمهم أيام رَوْحنا وريحاننا، ورأينا بهم شكل أوطاننا وإخواننا، وأيدوا ونصروا وقاموا لإيطاننا، فدخلنا بعد عُمرٍ في الذين يروّحون. وظهرنا برؤية راياتهم ظهور الشمس بالصباح، وتقوينا بعنايتهم تقوي الأجسام بالأرواح، وودّعنا بقدمهم أبا غمرة وأبا عمرة، كان قد أضرّم في أحشائنا الجمرّة، وصرنا من الذين يعيشون بأرغد عيش، وبنوم الأمانة ينامون.

وأول ما لَقِفْنَا من آلائهم، وثَقِفْنَا من نعمائهم، هو الأمن والنجاة من تطاول اللّيام وظلم عبدة الأصنام، فإنهم آمنونا من كل خوف، وجبروا بالناء، وأزالوا بلباننا، فدخلنا الجنة بعد ما كنا من الذين هم يعدّون. وصرنا في هذا العهد المبارك من أرباب البضاعة، وأولي المكسبة بالصناعة، ومن الذين يتنعمون. وأما في عهد "الخالصة" فكانت تجاراتنا عرضة للمخاطرات، وزروعنا طُعمة للغارات، وصناعاتنا غير فاضلة الأقوات، ومع ذلك محدودة الأوقات، وكان انسلاكننا في أعوان رياستهم وعمّالهم وعمّلتهم وحفدتهم، تمهيدا للغرامات، وإرهاصاً لأنواع التبعة والعقوبات. وكنا كشيء يقلّب في يوم مائة مرة، ما ندرى أين نكون غدا، أفي الأحياء أو في الذين يُشعَبون ثم يُقتلون.

فالحمد لله الذي بدّلنا من بعد خوفنا أمنا، وأعطانا مليكة رحيمة كريمة، ما نرى في عملها سطوة المتحكّمين، ونضنّضة

اللادغين العاضّين، بل هم على الضعفاء يرحمون. ونحن تحت ظلهم
نقتحم الأخطار، ونخوض الغمار لنذكر الأوطار، ومع ذلك كنا من
الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وإن اتفق أن تركنا البيوت
عورة، وفارقنا الديار فجأة، ما كان أن يمسنّا من سوء، بل كُنّا في
أمن من كل حرامي وسارق كأنه لم نرّم وجارنا، ولا ظعنّا عن الفنا
وجارنا، فكيف لا نشكر أيها الغافلون؟

إنهم أعطونا حرية تامة في إشاعة الدين، وتأليف الكتب وإقامة
البراهين، والوعظ ودعوة الخلق إلى الإسلام، وفي الصوم والصلاة،
والحج والزكاة. وأكثر قضايا الشريعة إلى الشريعة يردّون، ويستفتون
من علماء الإسلام في معاملات المسلمين ولا يعتدون. ويفتشون عند
كل حكم وقضاء، وفصل وإمضاء، ولا يستعجلون. وإذا حضر
محاكماتهم المسلمان يرغبونهم في شورى المسلمين، ويعظونهم ليقبلوا
حَكَمًا حَكَمًا من أهلها، وإذا قبلوا فيفرحون. وظهرت في أيامهم
علوم الإسلام، وسنن خير الأنام ﷺ، ولا ينكرها إلا المتعصبون.
وكم من مدارس عمروها، وأشاعوا أنواع الفنون، وأخرجوا كل ما
كان كالمدفون. ورتّبوا فيها قواعد الامتحان، ليكرم الطالب أو
يهان. ولا شك أنهم أحسنوا ضوابط التعليم، وأكملوا طرق التفهيم،
وملكوا في هذا الأمر كل زُندة متعسّرة الاقتداح، وكل قَلعة
مستصعبة الافتتاح، ومع ذلك مؤونة هذا التعليم قليلة، وأيامها
معدودة، وفوائدها جليّة، فليغبط الغابطون.

ولعمري إن هذا القوم قوم أرسله الله لنا ولخيرنا، أبادوا من أبادنا، وقلدوا بالنعم أجيادنا، ووجب علينا شكرهم بالقلب واللسان، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ فليتلقه المسلمون بالإجلال والإعظام، ويحملوا نير طاعتهم على كاهل المبرّة والإكرام، ومن عصاهم منا أو خرج عليهم أو حاربهم فأولئك الذين اعتدوا حدود الله ورسوله، وأولئك هم الجاهلون. وحرأتم على المؤمنين تجديفهم حتى يُغيّروا ما بأنفسهم، وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنة أن يعصي في المعروف ملكاً يحفظ عرضه وماله، ويتحامى أهله وعياله، ويُفشي الإحسان، ويُذهب الأحران، وينشئ الاستحسان، فخذوا الفتوى أيها المستفتون. فأذنوا بحكم الله ولا تميلوا إلى جذبات النفس، ولا تأذنوا بآراء العلماء الذين يفتون بغير علم فيضلون ويضلون. إننا لقد عايينا آلاء كثيرة ونعماء كبيرة من قيصرة الهند، فكيف ننساها ونكفر بها، وإن الله لا يرضى لعباده أن يكفروا وهم منعمون. لا ريب في أن القيصرة أحد جناحي المسلمين، وحافضة آثار الإسلام، ومن الذين هم يحسنون. وُجودها لنا بركة، ووجودها لنا مُزنة، ليست على أذيتنا براضية، وقد عصمها الله من ظلم وتغاضٍ، آوت أقواماً متفرقة في ذيلٍ فضفاضٍ، كل حزب بعنايتها فرحون.

وأما فساد قسيسين وتطاولهم وهبوب سمومهم، وشيوع ضلالات الفلاسفة وانتشار علومهم، فليس فيها دخل هذه المليكة

مثقال ذرة، وهذه الدولة برية من الظن بحمايتها، بل هذه نتائج حرية قد أُعطي لكل قوم نصيب تام منها، وما أعطى قانون القيصرية حقاً زايدا للقسيسين على المسلمين، بل سواهما في ذلك، فلم يرتاب المرتابون؟ ومن فهم أن القسيسين شعبة من شعب هذه الدولة وأنهم يعظون بأمر القيصرية فقد ضل ضلالاً بعيداً، وصار من الذين يظلمون.

أتمنع القيصرية من إشاعة دين الإسلام؟ وكأين من قومها.. ومن نواح دار دولتها.. أسلموا، وأسس المساجد فيها وعمرت، فما لكم لا تفهمون؟ وعناياتها ليست مختصة بقوم دون قوم، ذلك ظن الذين يقنعون على خيالات سطحية، وهم عن حقيقة الأمر غافلون. انظروا إلى آثار فيضها! كيف أقامت في كل بلدة أندية الإفادة، فمنها أندية الأدب، ومنها أندية سياسة المدن، ووشحتها بشورى الحكماء والعقلاء، وأجرت من العلوم أنهاراً، وفتحت للطلاب مدارس، وهمت لفقرائهم درهما وديناراً، وأعانتهم إدراراً، وطالما داومت على ذلك، فاشكروا لها أيها المسلمون، وادعوا الله أن يديم عز هذه المليكة الكريمة، وينصرها على الروس المنحوس، ويدخلها في الذين آمنوا بالله ورسوله، ويعطيها خير الكونين، ويجعلها من الذين أوتوا حظ الدارين ويسعدون.

يا قيصرية الهند.. وقيت التلّف، وأنسيت كل رزء سلف، قد بذلت في إقامة الأمن جهد المستطيع، ووسّعت الحرية غاية التوسيع،

ونجيت المسلمين من هموم ناصبة، وأخرجت لهم أصداف درر ناضبة، ورأينا منك راحة القلوب، وقرّة الأعين وتوديع الكروب، فواهاً لك لو كنت من الذين يُسلمون.

جزاك الله عنا خير الجزاء، وأعطاك ما في قلبك من التمني. لا ينسى نعماءك ذرية المسلمين، ولا يمحي اسمك عن دفاتر الفرقانيين. ينقطع الزمان ولا ينقطع ذكر مآثرك، فطوبى لك أيتها المحسنة إلى الذين كانوا يُقَمعون.

أيتها المليكة المكرمة.. إني فكرت في نفسي في كمالاتك، فوجدتك أنك حاذقة.. يمر رأيك في شعاب العضلات مرّ السحاب، وتزفّ مداركك في الغامضات كزفّ العقاب، ولك يد طولى في استنباط الدقائق، ومآثر غراء في تفتيش الحقائق، وأنت بفضل الله من الذين يصيبون في استقراء المسالك ولا يُخطؤون. أنت يا مليكة، تستشفيّن كل جوهر نقي، وتستنبطين دقائق المعدلة بفكر دقيق وذهن ذكي، وإن لك في هذه اللياقة مآثر حلّو المذاقة، مليح السياقة، ويحمدك المحمودون. فالآن قد أُلقيَ في بالي، بعد تصور كمالاتك وحسن صفاتك، التي تزوعت ريجها في العالم، أن أخبرك من أمر عظيم، ليرفع به قدرك عند رب كريم. وما أذكره إلا بفورة إخلاصي، لأن إخلاصي قد اقتضى أن أدعوك إلى خيرك، ولا ألغي لوازم شكرك، وإنما الأعمال بالنيات، وبصدق النية يعرف

المخلصون. وما كان لمخلص أن يستشعر أمراً فيه خير محسنه، بل يستعرض متاعه له ولا يكون من الذين يكتبون.

أيتها المليكة الكريمة الجليلة.. أعجبني أنك مع كمال فضلك، وعلمك وفراستك، تنكرين لدين الإسلام، ولا تُمعنين فيه بعيون التي تمعنين بها في الأمور العظام. قد رأيت في ليلٍ دجى، والآن لاحت الشمس.. فما لك لا تَرين في الضحى؟

أيتها الجليلة، اعلمي - أيدك الله - أن دين الإسلام مجمع الأنوار، ومنبع الأثمار، وحديقة الأثمار، وما من دين إلا هو شعبته، فانظري إلى حبره وسبره وجنته، وكُوبي من الذين يُرزقون منه رزقاً رغداً ويرتعون. وإن هذا الدين حي مجمع البركات، ومظهر الآيات، يأمر بالطيبات، وينهى عن الخبيثات، ومن قال خلاف ذلك أو أبان فقد مان، ونعوذ بالله من الذين يفترون. فيما إخفائهم الحق وإيوائهم الباطل لعنهم الله ونزع من صدورهم أنوار الفطرة، فنسوا حظهم منها، وفرحوا بالتعصبات وما يصنعون.

أيتها المليكة.. إن هذا القرآن يطهر الصدور، ويلقي فيها النور، ويُري الحبور الروحاني والسرور، ومن تبعه فسيجد نوراً وجده النيون. ولا يلقي أنواره إلا الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فسادا، ويأتونه راغباً في أنواره، فأولئك الذين تفتح أعينهم، وتزكّي أنفسهم، فإذا هم مبصرون. وإني بفضل الله من الذين أعطاهم الله من أنوار الفرقان، وأصابهم من أتم حظوظ القرآن، فأنار قلبي

ووجدت نفسي هداها، كما يجد الواصلون. ثم بعد ذلك أرسلني ربي لدعوة الخلق، وآتاني من آيات بينة، لأدعو خلقه إلى دينه، فطوبى للذين يقبلونني ويذكرون الموت، أو يطلبون الآيات وبعد رؤيتها يؤمنون.

أيها المليكة الكريمة.. قد كان عليك فضل الله في آلاء الدنيا فضلا كبيرا، فارغبني الآن في ملك الآخرة، وتوبي واقنتي لرب وحيد، لم يتخذ ولدا، ولم يكن له شريك في الملك، وكبريه تكبيرا. أتخذون من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يُخلقون؟ وإن كنت في شك من الإسلام فما أنا قائم لإراءة آيات صدقه. وهو معي في كل حالي، إذا دعوته يجيبني، وإذا ناديته يلبيني، وإذا استعنته ينصرني، وأنا أعلم أنه في كل موطن يعينني ولا يضيعني. فهل لك رغبة في رؤية آياتي، وعيان صدقي وسدادي، خوفا من يوم التنادي؟

يا قيصرة، توبي توبي، واسمعي اسمعي! بارك الله في مالك، وكل ما لك، وكنت من الذين يرحمون. فإن ظهر كذبي عند الامتحان، فوالله إني راضٍ أن أُقتل أو أُصلب أو تُقطع أيدي وأرجلي، وألحق بالذين يُذبحون. وإن ظهر صدقي فما أسأل أجراً منك، إلا رجوعك إلى الذي خلقتك، وربك وأعزك، وآتاك كل ما سألت. فاسمعي دعوتي، يا مليكة الممالك العظيمة وقيصرة الهند، ولا تكوني من الذين يشتمن قلوبهم عند ذكر الحق ويعرضون.

أيتها القيصرة الكريمة الجليلة - أذهب الله أحزانك، وأطال عمرك
وعمر فلذ كبدك، وعافاك وحفظك من شر الأعداء والحسداء - إني
كتبت هذه الوصايا خالصا لله رحما عليك وعلى عقباك، وأدعو لك
بركات الليل وبركات النهار، وبركات الدولة وبركات المضمار.

يا مليكة الأرض.. أسلمي تسلمين.. أسلمي متّعك الله إلى يوم
التنادي، وسلّمت وحُفِظت من الأعادي، ويحفظك من الله
الحافظون.

أيتها المليكة الكريمة.. أنا امرؤٌ جذبته الله تعالى من الدنيا إلى
الآخرة، وما أسأله من هذه الدنيا إلا رغيفين وكوزة ماء، وصرف
قلبي من أهواء، لا أريد علواً ولا مزية في الدنيا ولا زينتها، وأريد أن
أكون بالذين يُيسط لهم سرورٌ في الجنة ومن نعمائها يُرزقون، وفي
رياض حظيرة القدس يرتعون.

أيتها المليكة.. أنا أحد من المسلمين، رزقني الله عرفانه، وأعطاني
نوره وضيائه ولمعانه، وأظهر عليّ ملكوت السماوات وحبّها إلى
بالي، وأراني ملك الأرض وكرّهه إلى قلبي وصرف عنه خيالي،
فالיום هو في أعيني كجيفة أو أنتن منها، وكذا كل زينة الحياة الدنيا
والمال والبنون.

وفي آخر كلامي أنصح لك يا قيصرة، خالصاً لله.. وهو أن
المسلمين عضدك الخاص، ولهم في مُلكك خصوصية تفهمينها،
فانظري إلى المسلمين بنظر خاص، وأفرّي أعينهم، وألّفني بين

قلوبهم، واجعلي أكثرهم من الذين يقربون. التفضيل.. التفضيل! التخصيص.. التخصيص! وفي هذه بركات ومصالح. أرضيهم فإنك وردت أرضهم، وداريهم فإنك نزلت بدارهم، وآتاك الله ملكهم الذي أمروا فيه قريباً من ألف سنة مما تعدون. فاشكري ربك وتصدقني عليهم، فإن الله يحب الذين يتصدقون. الملك لله، يؤتي من يشاء، وينزع ممن يشاء، ويطيّل أيام الذين يشكرون.

أيّها المليكة المكرمة.. لا شك أن قلوب مسلمي الهند معك، ولا أستنشق منهم ريح الفساد، وما أرى فيهم نار العناد، وإنهم رجلك وخيلك، المستعدون لفداء النفس وأداء شرائط الانقياد، والحاملون لك جميع شدائد القنن والوهاد، بل هم أول خدمك في مواطن الإقدام والانبراء، وجوارحك في مواضع الفصل والإمضاء. إشارتك لهم حكم، وطاعتك لهم غنم. لن تَرَي منهم غدرا ولا عذرا. ولكنهم يا قيصرة الهند قومٌ كان لهم شأن، وكانت فيهم سرر وتيجان، وكانوا يحكمون على عبدة الصنم كالرعاة على الغنم، فقلّب أيامهم من سوء أعمالهم، وظلموا من أيدي "الخالصة" وإخوانهم، وكانوا يستشرفون وقت حكومتك كاستشراف الصائمين هلال العيد، ويرقبون عنايتك رُقبة الحبلَى ولادة الابن السعيد، وكانوا بقدمك يستفتحون. وقد مضت عليهم أيام كانوا في حُلل إمارات، وبعصيّ اختيارات، فيلوعهم في بعض الأوقات

أذكّارُ هذه الدرجات، فإن قلع العادات من المشكلات. وما قلت لك إلا نصحاً وإنما الأعمال بالنيات.

ووالله إن الخير كله في إكرامهم، وردّ عزّهم إليهم ببعض المناصب والعطيات، وما أرى خيراً في حيل استيصالهم وقتلهم كالحيات، وما كان لنفس أن تموت أو تنفى من الأرض إلا بحكم رب السماوات. فأشفقي عليهم أيتها المليكة الكريمة المشفقة - أحسن الله إليك - واعفي عني إن رأيت مرارة قولي، فإن الحق لا يخلو من المرارة، والعفو من كرام الناس مأمول.

إني أرى المسلمين قد مسّهم البؤس والافتقار، وما بقي في بيوت ذرية الأمراء إلا اللبّن والأحجار. سقطت العمائم عن الرؤوس، وما بقي للرهن غير الأباريق والكؤوس. كانوا في وقت ذوي حواشٍ وغواشٍ، ومتاعٍ وقماش، واليوم لا أرى حفدتهم إلا جوارحهم، وأراهم من تقلب الأيام كالسكارى، وما هم بسكارى، ولكن غشّهم من الغم ما يغشى الناس عند ازدياد الاعتياص، وانسداد طرق المناص. وإني أرى أنك كريمة جليلة، ومثلك لا يوجد في الملوك. وقد وهبك الله حزمةً وانبعاثاً، تواسين رعاياك بالتعب الشديد ولا تطيعين راحة إلا حثاثاً، وتستغرقين أوقاتك في تفقد الرعايا وفكر مصالحهم، وتختارين النصب لعل الخلق يستريحون. وظني أنك قد قلت لنائبك في الهند أن يفضلوا شرفاء المسلمين على غيرهم، وينظروا إليهم بإعزازٍ خاصٍ، ويقربوهم بخصوصية، ولكن

النائبين سوَّوا الأمر، وما رعووا مصلحة إعرزاز المسلمين حق رعايتها، بل ما خطر ببالهم أن ينظروا إلى أطمارهم ويسعفون.

هذا ما قلت شيئاً من حال مسلمي الهند، وأما عبدة الأصنام الذين يقولون إننا "هندو" و"آرية"، فهم قوم أنفدوا أعمارهم كالعبيد والحفدة، ومرت عليهم قرون وهم كمجهول لا يعرف، أو نكرة لا تتعرف. وتعرفين أيتها المليكة الجليلة أنهم مسلوبة الطاقات، ومطرودة الفلوات من دهر طويل. جلودهم قد وُسِّمت، وجنودهم قد حُسمت، وزمام نفوسهم قد ضُفر، وظهر عزمهم قد كُسر، فيمشون إلى ما سيقوا ولا يعتذرون، ولا يريدون عزة، وفي قلوبهم جُبْن الغلْمة، فهم لا يبْسُلون. والسر في ذلك أنهم من حُقب متلاحقة مطيَّئة خدمة، لا أهل حكومة، ومعتاد فقر ومسألة، لا من أهل عزة ودولة. انتابت الملوك عليهم من غير قومهم فهم به معتادون. مثل المسلمين كمثل ماء لا يجري إلا إلى أرضٍ غورٍ ذات حطوط، ومثل عبدة الأحجار كقوم لوط، أو كحمير احتجت لسوقها إلى سوط، أو عصا مخروط. تلك عظام نخرة، وهم قوم كانوا عرجوا ويعرجون.

هذا ما رأيت، فقلت نصحا لله، وإخلاصا في حضرتك، والأمر إليك، وإنا تابعون.

الخاتمة

في بعض الحالات الخاصة التي هي مفيدة للمستطلعين،

الذين يتمنون زيادة المعرفة في سوانحي

وسوانح آبائي وسوانح بعض إخواني في الدين

الحمد لله الذي جعل العلماء الروحانيين المحدثين ورثة النبيين، وأدبهم فأحسن تأديبهم، وأزال كدوراتهم كلها، وجعلهم كالماء المعين. وعلمهم فصلى علومهم، وعرفهم فأتم معارفهم، وبلغهم إلى منارات حق اليقين. ووفقهم فدقّ لوازم التوفيق في نياتهم وأعمالهم، وأفعالهم وأقوالهم، حتى تزكّوا وتراءوا كسبيكة الذهب بلمع مبین. وشرح صدورهم، وأكمل نورهم، وجعل وجهه حبورهم وسرورهم، وجعلهم من غيره منقطعین. ورفع مقامهم، وثبت أقدامهم، ونور أفهامهم، وطهر فراستهم وإلهامهم، وأعطى جواهر السيوف أقلامهم، ولمعات الدر كلامهم، وآمنهم من كل خوف، وأعطاهم من كل شيء، فتبارك الله أكرم المعطين.

والصلاة والسلام على السيد الكريم الجليل الطيب، خاتم الأنبياء وفخر المرسلين، الذي سبق الأولين والآخريين في الاهتداء،

والاصطفاء والاجتباء، والترحم على عباد الله، حتى سمي ببعض أسماء رب العالمين. لا شرف إلا وهو الأول فيه، ولا خير إلا وهو الدال عليه، ولا هداية إلا وهو منبعها، ومن ابتغى الهدى ممن سواه فهو من الهالكين.

أما بعد.. فأرى أيها الإخوان أن أفصل لكم قليلا من بعض حالاتي الخاصة، وحالات آبائي، لتزدادوا معرفة وبصيرة، وما توفيقى إلا بالله الذي أنطقني من روحه، هو ربي ومحسني ومعلمي، وهو الذي نورني بأنوار اليقين.

فاعلموا يا إخوان أن اسمي **غلام أحمد**، واسم أبي غلام مرتضى، واسم أبيه عطا محمد، وكان عطا محمد ابن **كُل محمد**، و**كُل محمد** ابن فيض محمد، وفيض محمد ابن محمد قائم، ومحمد قائم ابن محمد أسلم، ومحمد أسلم ابن محمد دلاور، ومحمد دلاور ابن إله دين، وإله دين ابن جعفر بيگ، وجعفر بيگ ابن محمد بيگ، ومحمد بيگ ابن عبد الباقي، وعبد الباقي ابن محمد سلطان، ومحمد سلطان ابن ميرزا هادي بيگ المورث الأعلى. فذلك اسمي وهذه أسماء آبائي، غفر الله لنا ولهم وهو أرحم الراحمين. وإن استطلعتم علامات لا بد منها في إيصال المكاتيب إلي.. فاكتبوا هكذا على لفافة مكتوبكم.. أعني بذلك: قاديان.. ضلع كورداسبوره.. قسمة أمرتسر.. ملك فنجاب من ممالك هند،

واكتبوا عليه اسمي: "ميرزا غلام أحمد قادياني"، يصلني إن شاء الله تعالى، وهو خير الموصلين.

والآن أبين لكم من بعض واقعات أرى في تبينها خيرا وبركة، وتفهم ما لا تعلمون بعلم اليقين.

فاعلموا أيها السادة أن آبائي - كما ذكرت فيما مر - كانوا من عظماء الحراثين، وكانت صناعتهم الفلاحة، وكانوا من أهل الإمارة والقرى والأرضين. وكانوا من أكرم جرثومة، وأطهر أرومة، ذوي فضل ووجاهة، وسيدودة ونباهة، بُناة المجد وأرباب الجد ومن المقبولين. وكانوا في زوايا هذه الأرض خبايا وبقايا من الأمراء الصالحين. وبعضهم كان من مشاهير المشايخ ونادرة الدهر في التزام دقائق العفة وأنواع الصالحات، وصاحب الأوقات، المشهود بالكرامات والآيات وخرق العادات، ومن المتعبدين المنقطعين. وكانوا في هذه الأرض ثاوين في الكفرة الفجرة، فصبت عليهم ما صبت، وقد ذكرناها من قبل للناظرين. وكنا ذرية ضعفاء من بعدهم ومن المستضعفين.

ولما مكر "الخالصة" مكرهم، وأخرجوا آباءنا من ديارهم، توفي جدي في الغربية، وسمعت أنه مات وهو من المسمومين. وبقي أبي يتيما غريبا مسافرا حاوي الوفاض، بادي الإنفاض، مضروب النوازل كالملم في الليل المدلهم، يجوب طرقات البلاد مثل الهائم ما

يدرِي ما الشمال ولا اليمين. وكان شغل أبي في تلك الأيام مكابدة صعوبة الأسفار أو مطالعة الأسفار، وسمعت منه - غفر الله له - مرارا أنه كان يقول: كل ما قرأت قرأته في أيام المصائب والغربة والتباعد من الدار. وكان يقول مرارا إني جربت الخاص والعام كما يجرب الحائر الوحيد، ورأيت مكاره كنتُ منها أحميد، وكان من المزوودين. فكان أبي طالما سار كمستهم ليس له قيام، لأنه كان أُخرج من أرض الآباء، وصُدَّ عن الانكفاء، وكان عرضة لنزوات الظالمين وإعنات المؤذنين وغيل المغتالين وسلب السالين، وطُعمَةٌ للمغيرين وأسيراً في أكف الضائمين. ثم بعد تراخي الأمد وتلاقي الكمد، قصد "كشمير" يستقري أسباب المعاش، لعل الله يدرأ بلاءه، ويدفع داءه، ويأتي قضاؤه بأيام الاطرغشاش، ويكون من المطعمين.

وقد اتفق في تلك الأيام أن ربي ألبسني خلعة الوجود، ونقلني من زوايا الكتم إلى مناظر الشهود، وصرت على مسقط رأسي من الساجدين. وكانت هذه هي الأيام التي بدل الله أبي من بعد خوفه أمنا، ومن بعد عسره يسرا، وصار من المنعمين. وأوى له الوالي، ورق قلبه لمصيبته ومن غير الليالي، فلما كلمه ورأى الوالي ما أعطاه الله من العلم والعقل والطبع العالي، شهد توسمه بأنه من أسمى اللآلي، فصبا إلى الإسعاف والاختصاص، والتسليك في زمرة الخواص، وقال: لا تحف، إنك اليوم من أعواننا المكرمين. وكذلك

مكّن الله أبي وحبّبه إلى أعينهم، ووهب له عزة وقبولاً وميسرة، ونظر إليه إنعاماً ومياسرة، وكان هذا فضل الله ورحمته وهو أرحم الراحمين.

وسمعت أُمّي تقول لي مراراً: إن أيامنا بُدّلت من يوم ولادتك، وكنا من قبل في شدائد ومصائب، وذا أنواع كروبٍ ومحنٍ، فجاءنا كل خيرٍ بمجيئك، وأنت من المباركين.

وكان أبي يعرج من مرتبة إلى أخرى، ومن عالية إلى عليا، حتى عرج إلى معارج الإقبال، وخلع الله عليه من خُلَع الإكرام والإجلال، وما أَلْتَه من شيء، وصار من الممولين.

ثم غلب عليه تذكّار الوطن، والحنين إلى المسارح المهجورة والعطن، فقوّض خيام الغربية والغبية، وأسرج جواد الأوبة إلى الأهل والعشيرة، ورجع سالماً غانماً إلى العترة بنصرة وخضرة ومتاعٍ وأثاثٍ، رحيبَ الباع، خصيبَ الربّاع. وكان ذلك فعل الله الذي أذهب عَنّا حزننا، وأمّاط شَجَننا، ومَنّ علينا، وتولى وتكفل وأحسن إلينا، وهو خير المحسنين.

ثم عزم أبي على أن يسير بجته في الزراعات، لينجو من السفر المبرّح، والبين المطوّح من الأهل والبنين والبنات، فاستحسن لنفسه اتخاذ الضياع، والتصدي للزدراع، فأحمدَ بفضل الله معيشتَه، واسترغَدَ فيها عيشتَه، ورُدّ عليه قليل من القرى، التي غُصبت من الآباء في

زمن خلا. وقواه الله بعد ضعف المريرة، وبارك الله له في أشياء كانت من قبل نكده الحظيرة. وكل ذلك كان من فضل الله ورحمته، وإن خفي على المحجوبين، ليتم قول رسوله ﷺ إن الموعود الآتي يكون من الحارثين.

هذا قليل من سوانح أيام ولادتي وصغر سني. ولما ترعرعتُ ووضعتُ قدمي في الشباب، قرأتُ قليلا من الفارسية، ونبذة من رسائل الصرف والنحو وعدة من علوم تعميقية، وشيئا يسيراً من كتب الطب. وكان أبي عرّافاً حاذقاً، وكانت له يد طولى في هذا الفن، فعلمني من بعض كتب هذه الصناعة، وأطال القول في الترغيب لكسب الكمال فيها، فقرأت ما شاء الله، ثم لم أجد قلبي إليه من الراغبين. وكذلك لم يتفق لي التوغل في علم الحديث والأصول والفقه إلا كطلّ من الوبّل، وما وجدتُ بالي مائلا إلى أن أشمّر عن ساق الجد لتحصل تلك العلوم، وأستحصل ظواهر إسنادهَا، أو أقيم كالمحدثين سلسلة الأسانيد لكتب الحديث.

وكنت أحب زمرة الروحانيين. وكنت أجد قلبي مائلا إلى القرآن ودقائقها ونكاتها ومعارفها. وكان القرآن قد شغفني حبا، ورأيت أنه يعطيني من أنواع المعارف وأصناف الأثمار لا مقطوعة ولا ممنوعة، ورأيت أنه يقوي الإيمان ويزيد في اليقين.

ووالله إنه دُرَّةٌ يَتِيمَةٌ. ظاهره نور، وباطنه نور، وفوقه نور، وتحتَه نور، وفي كل لفظه وكلمته نور. جَنَّةٌ روحانية، ذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا، وتجرى من تحتَه الأنهار. كل ثمرة السعادة توجد فيه، وكل قيس يُقْتَبَسُ منه، ومن دونَه خَرَطُ القَتَاد. موارد فيضه سائغة، فطوبى للشاربين. وقد قُذِفَ في قلبي أنوار منه ما كان لي أن أستحصلها بطريق آخر.

ووالله لولا القرآن ما كان لي لطف حياتي. رأيتُ حسنه أزيد من مائة ألف يوسف، فملت إليه أشد ميلي، وأشربَ هو في قلبي. هو رباني كما يربى الجنين. وله في قلبي أثر عجيب، وحسنه يراودني عن نفسي. وإني أدركت بالكشف أن حظيرة القدس تسقى بماء القرآن. وهو بحر مواج من ماء الحياة، من شرب منه فهو يحيا بل يكون من الحيين. ووالله إني أرى وجهه أحسن من كل شيء. وجهه أفرغ في قالب الجمال، وألبس من الحسن حلَّةَ الكمال. وإني أجده كجميل رشيق القد، أسيل الخد، أُعطي له نصيب كامل من تناسب الأعضاء، وأُسبغت عليه كل ملاححة بالاستيفاء، وكل نور وكل نوع الضياء. وضيئٌ.. أعطي له حظ تام من كل ما ينبغي في المحبوبين من الاعتدالات المرضية، والملاححات المتخطفة، كمثل حَوَرِ العيون، وبلجِ الحواجب، ولَهَبِ الخدود، وهَيْفِ الخصور، وشَنَبِ الثغور، وفَلَجِ المباسم، وشَمِ الأنوف، وسَقَمِ الجفون، وتَرَفِ البنان،

والطُّرَّ المزيَّنة، وكل ما يُصِبي القلوبَ ويسرُّ الأعينَ ويُستملح في الحسين.

ومن دونه كل ما يوجد من الكتب، فهي نَسَمَة خِدادِج، أو كمضغة مسقطة غيرِ دِمَاج، إن كانت عين فلا أنف، وإن كان أنف فلا عين، وترى وجوهها مكروهة مسنونة ملوَّحة. ومثلها كمثل امرأة إذا كُشف برقعها وقناعها عن وجهها فإذا هي كريهة المنظر جدا، قد رُمي جفنها بالعمش، وخذها بالتمش، وذوائبها بالجَلَح، ودُررها بالقلح، ووردُّها بالبُّهار، ومِسكها بالبُّخار، وبدرها بالمُحاق، وقمرها بالانشقاق، وشعاعُها بالظلام، وقوتها بالشيب التام. فهي كحيفة متعفنة، تَنَّة مُتتنة، تؤذي شامة الناس، وتستأصل سرور الأعين، يتباكون أهلها لافتضاحهم، ويتمنى النظيفون أن يدسوها في تراب، أو يذبّون عن أنفسهم إلى أسفل السافلين.

فالحمد لله ثم الحمد لله أنه أنالني حظًا وافرًا من أنواره، وأزال إملاقي من درره، وأشبع بطني من أثماره، ومنح بي من النعم الظاهرة والباطنة، وجعلني من المجذوبين. وكنت شابًا وقد شخّْتُ، وما استفتحت بابًا إلا فتحت، وما سألت من نعمة إلا أعطيت، وما استكشفت من أمرٍ إلا كشفت، وما ابتهلت في دعاءٍ إلا أجيبْتُ، وكل ذلك من جبي بالقرآن، وحبِّ سيدي وإمامي سيد المرسلين،

اللهم صل وسلم عليه بعدد نجوم السماوات وذرات الأرضين. ومن أجل هذا الحب الذي كان في فطرتي، كان الله معي من أول أمري، حين ولدت وحين كنت ضريعا عند ظئري، وحين كنت أقرأ في المتعلمين.

وقد حُبَّ إلي منذ دنوت العشرين أن أنصر الدين، وأجادل البراهمة والقسيسين. وقد ألفت في هذه المناظرات مصنفات عديدة، ومؤلفات مفيدة، منها كتابي: "البراهين". كتاب نادر ما نُسج على منواله في أيام خالية، فليقرأه من كان من المرتابين. قد سللت فيه صوارم الحجج القطعية على أقوال الملحدين، ورميت بشهها الشياطين المبطلين. قد خفض هام كل معاند بذلك السيف المسلول، وتبيّنت فضيحتهم بين أرباب المنقول والمعقول، وبين المنصفين. فيه دقائق العلوم وشواردها، والإلهامات الطيبة الصحيحة والكشوف الجليلة ومواردها، ومن كل ما يجلي درر معارف الدين المتين. ولي كتب أخرى تشابهه في الكمال، منها: الكحل، والتوضيح، والإزالة، وفتح الإسلام، وكتاب آخر سبق كلها أفته في هذه الأيام، اسمه: "دافع الوسوس"، هو نافع جدًا للذين يريدون أن يروا حسن الإسلام، ويكفون أفواه المخالفين.

تلك كتب ينظر إليها كل مسلم بعين المحبة والموودة وينتفع من معارفها، ويقبلني ويصدق دعوتي، إلا ذرية البغايا الذين ختم الله على قلوبهم فهم لا يقبلون.

ولما بلغت أشد عمري وبلغت أربعين سنة، جاءني نسيم الوحي برّياً عناياتِ ربي، ليزيد معرفتي و يقيني، ويرتفع حجبي وأكون من المستيقنين. فأول ما فتح عليّ بابه هو الرؤيا الصالحة، فكنت لا أرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. وإني رأيت في تلك الأيام رؤيا صالحة صادقة قريباً من ألفين أو أكثر من ذلك.. منها محفوظة في حافظتي وكثير منها نسيتها، ولعل الله يكررها في وقت آخر ونحن من الآملين.

ورأيت في غلواء شبابي وعند دواعي التصاي، كأني دخلتُ في مكان وفيه حفدي وخدمي، فقلتُ: طهّروا فراشي، فإن وقتي قد جاء. ثم استيقظتُ وخشيت على نفسي وذهب وهلي إلى أني من المائتين.

ورأيت ذات ليلة وأنا غلام حديث السن كأني في بيت لطيف نظيف، يُذكر فيها رسول الله ﷺ. فقلتُ: أيها الناس، أين رسول الله ﷺ؟ فأشاروا إلى حجرة، فدخلت مع الداخلين. فبشّ بي حين وافيته، وحيّاني بأحسن ما حيّته، وما أنسى حسنه وجماله وملاحظته وتحننه إلى يومي هذا. شغفني حباً وجذبني بوجه حسين. قال: ما

هذا يمينك يا أحمد؟ فنظرت فإذا كتاب بيدي اليمنى، وخطر بقلبي أنه من مصنفاتي، قلت: يا رسول الله.. كتاب من مصنفاتي. قال: ما اسم كتابك؟ فنظرت إلى الكتاب مرة أخرى وأنا كالمثحبرين، فوجدته يشابه كتاباً كان في دار كتبي واسمه: "قطي". قلت: يا رسول الله، اسمه قطي. قال: أرني كتابك القطي. فلما أخذه ومسّته يده إذا هي ثمرة لطيفة تسرّ الناظرين. فشققها كما يشقق الثمر، فخرج منها عسل مصفى كماء معين. ورأيت بلة العسل على يده اليمنى من البنان إلى المرفق، كان العسل يتقاطر منها.. وكأنه يريدني إياه ليجعلني من المتعجبين. ثم ألقى في قلبي أن عند أسكفة البيت ميّت قدر الله إحياءه بهذه الثمرة، وقدّر أن يكون النبي ﷺ من المحيين. فبينما أنا في ذلك الخيال فإذا الميّت جاءني حيا وهو يسعى وقام وراء ظهري، وفيه ضعف كأنه من الجائعين. فنظر النبي ﷺ إلي متبسما، وجعل الثمرة قطعاً وأكل قطعة منها، وآتاني كل ما بقي، والعسل يجري من القطعات كلها، وقال: يا أحمد.. أعطه قطعة من هذه ليأكل ويتقوى. فأعطيته، فأخذ يأكل على مقامه كالحريصين. ثم رأيت أن كرسي النبي ﷺ قد رُفِعَ حتى قرب من السقف، ورأيته فإذا وجهه يتلألأ كأن الشمس والقمر ذرّتا عليه، وكنت أنظر إليه وعبراتي جارية ذوقاً ووجداً، ثم استيقظت وأنا من الباكين.

فألقي الله في قلبي أن الميِّت هو الإسلام، وسيُحييه الله على يدي
بفيوض روحانية من رسول الله ﷺ، وما يدريكم لعل الوقت قريب،
فكونوا من المنتظرين. وفي هذه الرؤيا رباني رسول الله ﷺ بيده
وكلامه وأنواره وهدية أثماره. فأنا تلميذه بلا واسطة بيني وبينه،
وكذلك شأن المحدثين.

وكنت ذات يوم فرغت من فريضة المساء وسننها، وأنا مستيقظ
ما أخذني نوم ولا سنة وما كنت من النائمين. فبينما أنا كذلك إذا
سمعت صوت صكّ الباب. فنظرت فإذا المدكُون يأتونني مسارعين.
فإذا دنوا مني عرفتُ أنهم خمسة مباركة.. أعني عليًّا مع ابنه وزوجته
الزهراء وسيد المرسلين. اللهم صل وسلم عليه وآله إلى يوم الدين.
ورأيت أن الزهراء وضعتُ رأسي على فخذهما ونظرتُ بنظراتٍ تحنن
كنتُ أعرف في وجهها. ففهمتُ في نفسي أن لي نسبة بالحسين
وأشابهه في بعض صفاته وسوانحه، والله يعلم وهو أعلم العالمين.
ورأيتُ أن عليًّا رضي الله عنه يريني كتاباً ويقول هذا تفسير القرآن.. أنا ألفتها،
وأمرني ربي أن أعطيك. فبسطتُ إليه يدي وأخذته. وكان رسول
الله ﷺ يرى ويسمع ولا يتكلم كأنه حزين لأجل بعض أحزاني،
ورأيته فإذا الوجه هو الوجه الذي رأيتُ من قبل، أنارت البيت من
نوره، فسبحان الله خالق النور والنورانيين.

و كنت ذات ليلة أكتب شيئاً فنمت بين ذلك، فرأيت رسول الله ﷺ ووجهه كالقدر التام، فدنا مني كأنه يريد أن يعانقني فكان من المعانقين. ورأيت أن الأنوار قد سطعت من وجهه ونزلت عليّ، كنت أراها كالأنوار المحسوسة حتى أيقنتُ أنني أدركها بالحس لا ببصر الروح. وما رأيتُ أنه انفصل مني بعد المعانقة، وما رأيتُ أنه كان ذاهبا كالذاهبين.

ثم بعد تلك الأيام، فُتحت عليّ أبواب الإلهام، وخاطبني ربي وقال:

"يا أحمد، بارك الله فيك. الرحمن علّم القرآن، لتنذر قومًا ما أنذر آبائهم، ولتستبين سبيل المجرمين. قُلْ إني أمرتُ وأنا أول المؤمنين. يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة. إنك اليوم لدينا مكين أمين. أنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي، فحان أن تعان وتعرف بين الناس. ويعلمك الله من عنده. تقيم الشريعة وتحيي الدين. إنا جعلناك المسيح بن مريم. والله يعصمك من عنده ولو لم يعصمك الناس. والله ينصرك ولو لم ينصرك الناس. الحق من ربك فلا تكونن من الممترين. يا أحمددي أنت مرادي ومعني. أنت وجيه في حضرتي. اخترتك لنفسي. قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ويرحم عليكم وهو أرحم الراحمين."

هذه نبذة من إلهاماتي، ومن جملتها إلهام: "إنا جعلناك المسيح بن مريم." ووالله قد كنت أعلم من أيام مديدة أنني جعلت المسيح ابن مريم، وأني نازلٌ في منزله، ولكن أخفيته نظراً إلى تأويله، بل ما بدلت عقيدتي وكنت عليها من المستمسكين. وتوقفت في الإظهار عشر سنين، وما استعجلتُ وما بادرتُ وما أخبرتُ حباً ولا عدواً ولا أحداً من الحاضرين. وإن كنتم في شك فاسألوا علماء الهند كم مضت من مدة على إلهامي: ﴿يا عيسى إني متوفيك﴾، أو اقرؤوا "البراهين".

وكنت أنتظر الخيرة والرضاء وأمر الله تعالى حتى تكرر ذلك الإلهام، ورُفِعَ الظلام، وتواتر الإعلام، وبلغ إلى عدة يعلمها رب العالمين. وخطبت للإظهار بقوله: (فاصدع بما تؤمر)، وظهرت علامات تعرفها حاسة الأولياء وعقل أرباب الاصطفاء، وجُلِّي الصبح، وأكد الأمر، وشرح الصدر، واطمأن الجنان، وأفتى القلب، وتبين أنه وحي الله لا تلبس الشياطين.

ثم ما اكتفيت بهذا بل عرضته على الكتاب والسنة، ودعوت الله أن يؤيدني، فدقق الله نظري فيهما وجعلني من المؤيدين. وظهر عليّ بالنصوص البينة، القرآنية والحديثية، أن المسيح بن مريم عليه السلام قد تُوْفِي وَلِحِقْ بِإِخْوَانِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ.

و كنت أعلم أن وفاة المسيح حق ثابت بالنصوص البيّنة القطعية،
 القرآنية والحديثية، وأعلم أن إلهامي لا غبار عليه ولا تلبيس ولا
 تخليط، ومع ذلك كان يقيني بأن اعتقاد المسلمين في نزول المسيح
 حق لا شبهة فيه ولا ريب، فعسرُ عليّ تطبيقهما و كنت من
 المتحيرين. فما قنعت بالنصوص فقط، لأني وجدت في الأحاديث
 رائحة قليلة يسيرة من دُخْن الاختلاف بظاهر النظر، وإن كانت
 الدلائل القوية القاطعة معنا وبأيدينا، وكان القرآن معنا كله، بل
 ابتغيت معرفة تامةً نقيةً بيضاء التي يتلأأ كل شق من شقوقها وتبلغ
 إلى الحق اليقين.

فتضرعتُ في حضرة الله تعالى، وطرحت بين يديه متمنياً لكشف
 سر النزول وكشف حقيقة الدجال، لأعلمه علم اليقين وأرى به
 عين اليقين، فتوجهت عنايته لتعليمي وتفهيمي، وأُهِمْتُ وَعُلِّمْتُ من
 لدنه أن النزول في أصل مفهومه حق، ولكن ما فهم المسلمون
 حقيقته، لأن الله تعالى أراد إخفاءه، فغلب قضاؤه ومكره وابتلاؤه
 على الأفهام، فصرف وجوههم عن الحقيقة الروحانية إلى الخيالات
 الجسمانية، فكانوا بها من القانعين. وبقي هذا الخبر مكتوماً مستوراً
 كالحبِّ في السنبله، قرنا بعد قرن، حتى جاء زماننا، واغترب
 الإسلام، وكثرت الآثام، وغلبت ملة عبدة الصليب، فصالوا على
 المسلمين بالافتراء والمين، وأحلُّوا سفكَ عُشاقٍ كانوا كصيد

الحرَمين. فصَبَّت علينا مصائب كنا لا نستطيع إحصاءها، وضاقَت الأرض علينا، وتورمت مُقلتنا باستشراف الناصرين. فأراد الله أن يأتي بصبح الصداقة، ويعين طلاب الحقيقة، من الأعالى والأداني، بَنَصُو الوِشاح عن مَحْدَرَة المعاني، ويشفي صدور المؤمنين. وكنا أحق بها وأهلها لأننا رأينا بأعيننا إطرء المسيح وازدراء المصطفى، ودعوة الناس إلى ألوهية ابن مريم وسبَّ خير الورى ﷺ، وسمعنا السبَّ مع الشرك والمين، وأحرقنا بالنارين. فكشف الله الحقيقة علينا، لتكون النار علينا بردًا وسلامًا، وكان حقا على الله نصر المضطرين. فأخبرني ربي أن النزول روحاني لا جسماني، وقد مضى نظيره في سنن الأولين. وإن الله لا يبدل سنته ولا عاداته، ولا يكلف نفسًا إلا وسعها، وكذلك يفعل وهو خير الفاعلين.

والسر في ذلك أن للأنبياء، عند هبِّ الأهوية المهلكة وابتداع المسالك الشاغرة، تدلييات وتنزلات إلى هذا العالم، فإذا جاء وقتُ تدلي نبي ونزوله بمجىء فتنة تؤذيه، يطلب من ربه محط أنواره، ومظهر إرادته وأنظاره، ووارث روحانيته، ليكون هذا المظهر له من المنشطين. فيعدُّ له ربه عبدًا من عباده، ويلقي إراداته في قلبه، فيكون هذا العبد أشدَّ مناسبة وأقربَ جوهرًا من ذلك النبي، ويشاهده من حيث الهوية المبعوثية مشاهدةً تامةً كاملةً كأنه هو، ويكمل ما تزيَّف في قومه المخدولين. وذلك سر عظيم من الأسرار السماوية،

ما يفهمه عقول سطحية، ولا يلقاها إلا الذين أتوا العلم من عند الله، وما كان لعين لاقت الاعتلال أن تجتلي الهلال، فطوبى للمبصرين.

وقد جرت عادة الله تعالى على أنه لا يكشف قناع الأخبار الآتية من كل جهة إلا في وقتها، ويبقى قبل الوقت بعض إغماضات ومعان مطوية ومستورة مكتومة، ابتلاء للذين يجدون زمان ظهورها، فيفضّ الختم في زمانهم، ليهينهم أو يكرمهم بامتحانهم، وقد مضت سنته في فتنة المسلمين. ولا يرفع الأمان من ذلك،[❖] لأن الأمر المقصود يبقى على حاله، مع قرائنه القوية وصفاء زلاله، فلا يتطرق

❖ الأصل المحكم والخفير الأعظم في طرق المكاشفات الذي هو كقانون عاصم من سوء الفهم في تفسير النبوات الواقعة في هذا العالم العنصري علم تأويل الأحاديث الذي يعطى للصديقين. ولا يجوز صرف أمر كشفي عن التأويلات المصراحة في هذا العلم إلا عند قيام قرينة قوية موصلة إلى اليقين، لأن هذا العلم إنما جعل بمنزلة لغة كاشفة لأسرار المكاشفات، أحكمت قواعدها وفرض اتباعها للمؤمنين. فكما أن اللغات المستعملة الجارية على الألسنة قاضية لحل التنازعات اللغوية في العالم السفلي وحجة قاطعة للمتكلمين، كذلك علم تأويل الأحاديث وقواعده التي رتبها لسان الأزل حكم مسلم لقضاء التنازعات الكشفية، ومن أبي هذا الحكم فقد جار جورا عظيما وهو من الظالمين. مثلا إذا احتذيت حذاء في رؤياك فلا يجوز لك عند تأويله أن تعني من الحذاء ما يُعنى في لغات هذا العالم السفلي، بل يجب عليك أن ترجع إلى لغة وضعها الله لذلك العلم الروحاني، فتؤول الحذاء زوجة أو وسعة معاش. فخذ هذا السر فإنه ينجيك من آفات المخطئين. منه.

الاختلال إليه، وإنما يجدد الله حلل ظهوره في أعين الناس، ليرى من يعقد حَبْكَ النطاق للرحلة من خريته كانوا آباؤه فيه ساكنين. والحق أن كل ظن فاسد ينشأ من سوء الفهم، وأما وعد الله فهو يظهر بلا خلاف، والله لا يخلف الميعاد. وكم من وعود أسنى لنا ثم أنجزَ لنا كما وعد وهو خير المنجزين. ولعمري، إن السفهاء لم يحفظوا كلام الله كله في أذهانهم، وآمنوا ببعض الآيات وكفروا ببعضها، وجعلوا القرآن والحديث عِضِينَ. وأراهم أسارى في سلاسل الاختلافات والتشاجرات، ولو أنهم تفكروا للتطبيق لفتح الله عليهم بابا من أبواب المعرفة، ولكن غَضُوا وتركوا القرآن مهجورا، فطبع الله على قلوبهم وتركهم ضالين.

أما الدجال فاسمعوا أبين لكم حقيقته من صفاء إلهامي وزلالي، وهو حجة قاطعة تُقَفِّت للمخالفين تثقيف العوالي، خذوه ولا تكونوا ناسين أو متناسين.

أيها الأعزة! قد كشف علي أن وحدة الدجال ليست وحدة شخصية، بل وحدة نوعية، بمعنى اتحاد الآراء في نوع الدجالية، كما يدل عليه لفظ الدجال، وإن في هذا الاسم آيات للمتفكرين. فالمراد من لفظ الدجال سلسلة ملتئمة من همم دجالية، بعضها ظهير للبعض، كأنها بنيان مرصوص من كِبِنٍ متحدة القلب، كل لبنة تشارك ما يليها في لوها وقوامها ومقدارها واستحكامها، وأدخلت

بعضها في بعض، وأشيدت من خارجها بالطين، أو كركبِ رِدِفِ بعضهم بعضا، وهم - ممتطين شِمْلَةً مُشْمَعَلَّةً - يُرَوْنَ مِنْ شِدَّةِ سرعتها رجلا واحدا في أعين الناظرين. ونظيره في القرآن خير الدخان، فإنه كان سلسلة خيالات متفرقة من شدة الجوع، وسمي بشيء واحد وقيل ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾* وهذا سر لا يعرفها إلا العرَّافَة، وما يُطَلَّ عليه فهمُ الغِيبِينَ.

وقد جرت عادة الناس، عربا وعجمًا، أنهم إذا رأوا كيفية وحدانية في أفراد فيُنزلونها في منزل الواحد، نحو أدوية مختلفة، فإذا خُلط بعضها ببعض، ودُقَّ وسُحِقَ وحصل لها مزاج واحد، وأثر واحد، فما عليك من ذنب إن قلت إنه شيء واحد حصل من العجيين.

وأنت تعلم أن الناس إذا اجتمعوا في أرض وألقوا فيها مراسي السكون، وحصل لهم نظام تمدني وتعلق بعضهم بالبعض تعلقا مستحكما، وتحقق النسب والإضافات غير قابلة الانفكاك والزوال، واستقرّوا وما أرادوا أن يرتحلوا منها إلى أرض من الأرضين، فإن شئت تسمي مجموعتهم: "بلدة"، وتجري على جماعتهم أحكام الواحد، وما هو واحد في الحقيقة، وما أنت من الملمومين. وإن اتفق أنهم جاءوك للقائك فإن شئت قلت: "جاءني البلد"، وذكرهم كما

* سورة الدخان: ١١

يذكر الفرد الواحد، وما يعترض عليك إلا جاهل أو الذي كان من المتجاهلين. فكما أن الأماكن يطلق عليها اسم الواحد مع أنها ليست بواحدة، كذلك لا يخفى على القرائح السليمة، والذين لهم حظ من أساليب لسان العرب ولطائف استعاراتهم، أن أذيال هذه الاستعارات مبسوبة ممتدة جداً، وليست محدودة في مورد خاص، فانظر حتى يأتيك اليقين.

وعجبت لقوم يزعمون في الدجال أنه رجل من الرجال، ويقولون إنه كان في زمن رسول الله ﷺ وهو إلى الآن من الموجودين. أف لهم ولوهم رأيتهم.. كيف يحكمون! ألا يعلمون أن رسول الله ﷺ قال: أقسم بالله، ما على الأرض من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ. يعني بذلك أن الناس كلهم يموتون إلى مضي المائة، وما يكون فرد من الباقيين. فما لهم يقرؤون "البخاري" و"المسلم" ثم يضلون المسلمين؟

أيها الأعزة، إن في هذا الاعتقاد مصيبتان عظيمتان قد أزجتا كثيرا من الناس إلى نيران الكفران، ومنعتاهم من مرتع الجنان، فلا تحظوا صراطكم ولا تكونوا من المتخطين. أولاهما المصيبة التي قد ذكرت من استلزام تكذيب قول النبي ﷺ الذي أكده بالقسم، فإياكم وسوء الأدب وكونوا من المتأدين. لا تقدموا بين يدي الله ورسوله، ولا تعصوا بعد ما بين لكم رسول الله ﷺ، واعلموا أنه صادق صدوق

ما ينطق عن الهوى.. إن هو إلا وحي يوحى. فاحضوا جناح
الذلل، ولا تأبوا قول رسول الله ﷺ إن كنتم صالحين.
والمصيبة الثانية ظاهرة لا حاجة لها إلى البيان. ألا ترون إلى
الفرقان وتعليم الرحمن.. كيف أقام الناس على توحيد عظيم ونهاهم
عن سنن المشركين؟ فتفكروا في قلوبكم.. كيف يمكن أن يخرج
الدجال كما ترعمون، ويحيي الأموات ويرى الآيات، ويسخر
السحاب والشمس والقمر والبحار، وكان أمره إذا أراد شيئاً أن
يقول له كن فيكون؟ أهذا ما علّمتهم من القرآن؟ أهذا تعليم
الفرقان؟ أهذا الذي سَفك له دماءُ سِراة العرب وعظامِ القریش
بدرٍ وفي كل مصافٍّ، وهَضَمَهُم المسلمون هَضَمَ متلافٍ؟ أشهدوا
ولا تكونوا من الكافرين. كيف ينسخ تعليم القرآن وينبذ كالكشر،
ويفيء المنشُرُ المطويَّ إلى النشر، ويجيء الدجال المفاجئ لتضليل نوع
البشر؟ لم تخرجون من خُلَع الصداقة وتنسون يوم الحشر؟ وتفسدون
في الأرض بعد إصلاحها، اتقوا الله ولا تكونوا من المعتدين. أيمكن
أن السيّد الذي كسر الأصنام بالعصا، وإذا سُئل أغير الله قادر قال
لا، أهو يعلمكم أموراً خلاف القرآن الكريم وخلاف التوحيد
العظيم؟ كلا.. إنه أغير من كل غيور لله وتوحيده، فلا تفتروا عليه
عَضِيهة ولا تكونوا فريسة الشياطين.

هذان بلاءان في اعتقادكم، ومصيبتان على دينكم وتوحيدكم،
 وصلاحكم وسدادكم. وأمّا المعنى الذي بينت، ولتعليمه تحزمت،
 فكله خير لا محذور فيه، ولا رائحة من شرك ولا من تكذيب النبي
 ﷺ، بل هو أقر للعين، وفيه نجاة من الثقلين، فاقبلوه وكونوا من
 الشاكرين.

وكيف تظنون في الذي هو في زعمكم من أبناء الغيد، وتفوقَ
 من رَأدٍ ضعيفة لا من الشيطان المرید، أنه يتقوى كالشياطين،
 ويشابهه في بعض الأغاريد، بل يكون أزيد منهم ويصلب كالحديد.
 ويكون له جسم لا يسع إلا في سبعين باعًا. تفكروا يا ذرية
 الحُرِّين! أيجوز أن يتعطل الله في وقت خروجه، ويقدر الدجال على
 كل أمر وكل ضيم. وتصير تحت أمره شمس وقمر ونار وماء وجنة
 وخزائن الأرض وقطعة كل غيم. ويطوف على كل الأرض في
 ساعة، ويدخل المشارق والمغارب تحت لواء الطاعة، ويضع الفأس
 على رأس الناس، ويجعلهم شقيين ثم يحييهم مرة أخرى، ويرى
 الخلق كذب آية الفرقان: ﴿فيمسك التي قضى عليها الموت﴾*،
 ويكون على كل شيء من الفعالين؟ يسحق التوحيد تحت أرجله
 وكان به من المستهزئين؟ سبحان ربنا عما يصفون، والحمد لله رب
 العالمين.

* سورة الزمر: ٤٣

أيها الناس.. إن تحت هذا النبأ سرٌّ، وفهم السرُّ، فاقبلوه بوجه طليق وكونوا مسعدين. يرحم الله عليكم وهو أرحم الراحمين.

أيها الأعزة، هي العقيدة التي علمني الله من عنده وثبتني عليها، فما استصوبه بعض الغييين، وما استجادوا قولي هذا وارتابوا واستنكروا واستعجلوا في إكفاري، وما أحاطوا على بطانتي ولا ظهاري ولا سراري، ونحتوا بهتاناً وأكفروا وجاءوا بمفتريات كالشياطين، ليفرط بتلك المروش إليّ ذم، أو يلحقني وصم، وليختلبوا القلوب بمزخرفاتهم، وأترأى في أعين الناس من الكافرين. ورأيت نفوسهم قد ثعت وثلّطت، وقرحت وتعفت من حقد وغل، وصاروا من الذين يُصعرون ويُصلقون، ويؤذون الناس بجمّة نطقهم، وينضنون لسنتهم كصل، وما بقي فيهم من حبّ ولا لبّ، كأنهم في غيابة حبّ، ومن المغرّفين.

أيها الأعزة، إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً، فلم يزدهم دُعائي إلا فراراً، ثم إني دعوتهم جهاراً، ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً، فقلت استغفروا ربكم واستخبروا واستخبروا، وادعوا الله في أمري يمددكم بإلهامات ويُظهر عليكم أخباراً، فما سمعوا كلمتي، وأعرضوا عتواً واستكباراً، ورضوا بأن يكونوا لإخوانهم مكفرين. وما كان حجتهم إلا أن قالوا اتنوا بأحاديث شاهدة على ذلك إن كنتم صادقين. وهم يدرسون كتاب الله ويجدون فيه كل ما قلت لهم،

ويقروون الصحاح ويجدون فيها ما أظهرت عليهم، ولكن ختم الله على قلوبهم وكانوا قوما عمين.

ولست أرى أن الأحاديث كلها موضوعة على التحقيق، بل بعضها مبنية على التلفيق، ومع ذلك فيها اختلافات كثيرة، ومنافاة كبيرة، ولأجل ذلك افتردت الأمة، وتشاجرت الملة، فمنهم حنبلي وشافعي، ومالكي وحنفي، وحزب المتشيعين. ولا شك أن التعليم كان واحداً، ولكن اختلفت الأحزاب بعد ذلك، فترون كل حزب بما لديهم فرحين. وكل فرقة بنى لمذهبه قلعة، ولا يريد أن يخرج منها ولو وجد أحسن منها صورة، وكانوا لعماس إخوانهم متحصنين. فأرسلني الله لأستخلص الصياصي، وأستدني القاصي، وأنذر العاصي، ويرتفع الاختلاف ويكون القرآن مالك النواصي، وقبلة الدين. فلما جئتهم أكفروني وكذبوني ورموني بهتانات وإفك مبين. وإني أرى علمهم مخسولاً، وجيد تناصفتهم مغلولاً، وصنع عذراتهم مطلولاً، وأرى صورهم كالمسوخين.

وقد بعثني الله فيهم حكماً فما عرفوني وحسبوني من الملحدين. آذوني بحصائد ألسنتهم، ورأيت منهم ظلماً وهضماً كثيراً، وقلبوا لي الأمور، وأرادوا أن يتخطفوني من الأرض، ولكن عصمني الله من شرورهم وهو خير العاصمين. ورأيت كل أحد منهم ماراً في عشواه، وتاركاً سبيل رسول الله ﷺ وهداه، فقلت: أيها الحسداء

الجهلاء.. أسأتم فيما صنعتم، وحرّنتم فيما ظننتم. تجلّدون للاجتلاّد، وأنا تحت أتراس الله حافظ العباد، ولن تستطيعوا أن تضروني ولو أمحشَ الحقد جلودكم، وسوّد الغيظ حدودكم. يا حسرة عليكم! ما أرى فيكم المتضرع الخائف، خرف التّمر وبقي خرائفُ. وما أرى فيكم رائحة الحياة.. إن أنتم إلا كالأموات، وإن أنتم إلا كمدعوفين.

وأيمُ الله.. لطالما قلت لهم: ألا لا تردوا مخاوفَ الإكفار، فإنها مقاحم الأخطار وفلوات التبار. تعالوا أنفٍ ما رابكم، وأستسلّ كل سهمٍ نابكم، فما كفّوا ألسنتهم، وما جاءوني كتقيّ أمين.

ثم قلت: أيها العلماء، أروني نصوص كتاب الله لأوافقكم، وأروني أثر رسوله ﷺ لأرافقكم، فإنني ما أجد في كتاب الله وآثار رسوله ﷺ إلا موت المسيح بن مريم، فأروني خلاف ذلك إن زعمتموني من الكاذبين. وإن كنتم على بينة من عند ربكم.. فلم لا تأتونني بسلطان مبين؟ وإن شئتم أن تختبروني فتعالوا عاينوا آيات صدقي أو أروني شيئاً من آياتكم. فإن بدا كذب فمي.. فمزّقوا أدمي، وأريقوا دمي، وإن غلبتُ وظهر صدق قولي، فإليكم من حولي. واتقوا الله ولا تعتدوا أمام ربكم في العصيان، فإن عينه على طرق الإنسان، وهو يرى كل خطواتكم، ويعلم دقائق خطراتكم، فما لكم لا تخافونه؟ قد نزل الله في عرائكم فقوموا له قانتين.

الإيمان نور البشرية، ونور الإيمان عرفان، ومن فقدهما فهو دودة لا إنسان. من عرف السر فقد عرف البر، فقوموا وتحسسوا اللبّ الذي هو باطن الباطن ومعنى المعنى ونور النور، ولا تفرحوا بالقشور. الحياة الحياة! البصارة البصارة! ولا تكونوا كالميتين. هذا ما قلت لهم، وفوضت أمري إلى الله. هو ربي، وجيدي تحت نيره، وأعلم أنه لا يخذلني ولا يضيعني، ولا يجعلني من التائهين.

والآن أيها الأعزّة.. أبين لكم بعض حلمي ومكاشفاتي، رأيت فيها رسول الله ﷺ بعد ما رأيته في مستطرف الأيام، فجعلني كالعردام، وأعدني للأصلحمام، لأحارب الفراعنة والظالمين.

أيها السادة.. إني رأيته مرات، بعد ما وجدت منه بركات وثمرات، فالآن أبين بعضها لكم لعلكم تتفكرون في أمري، ولعلكم تنظرون إليّ بعين المبصرين. فإن القوم فرّوا مني كثور الوحش، وتركوا شطاط الإنسانية وحزامتها، وكانوا كجذوة ملتبهة، وقاموا بفديدٍ سبّعيٍّ وطبعٍ قذمٍ كوجينٍ. وأروني سهوكة رباهم، وسهومة محياهم، واتفقوا على إيذائي وازدرائي ببغي وطغيان، وسابقوا في الافتراء كفرسي رهان، لكي لا يكونوا في إخوانهم من المقرعين. فلما رأيت أرضهم قفراً، وسماءهم مصحية، أعرضت وجئت حضرتكم بمائي المعين.

أيها الأعزة والسادة.. جئناكم راغبين في خيركم بهدية فيها لبن
أثناء الأمهات الروحانية، فتعالوا لشربه وأتوني ممثلين. والآن أبين
الرؤيا إراحةً للسامعين.

أيها الكرام.. رأيت في المنام كأني في حلقة ملتحمة، ورفقة
مزدحمة، وأبين بعض المعارف بجأش متين، ولسان مبین
للحاضرين. ورأيت أن المكان رُبَّع لطيف نظيف، ينفي التَّرحَ رؤيته،
ويسر الناظرين هيئته، وكنت أخال أنه مكاني، فحبذا هو من مكان،
رأيت فيه سيد المرسلين ﷺ. ورأيت عندي رجلا من العلماء.. لا
بل من السفهاء.. جاثيا على ركبته، ينكر علي لغاوته، ويكلب
علي اللجاج لشقاوته، ورأيته كالحاسدين.

فاشدد غضبي وقلت: تعسًا لهؤلاء العلماء.. إنهم من أعداء الدين.
فقلت: هل من امرئ يخرج من هذا المقام، كإخراج الأشرار
واللثام، ويطهر المكان من هذا القرين الضنين؟ فقام رجل من
خدامي، وهمَّ بإخراجه من أمام عيني ومقامي، ليؤمنني من ذلك
الطَّين. فرأيت أنه أخذه وجعل يدفعه ويذُبه ويذأطه من المكان،
وله رطيظ وكرب وفزع مع الاردمان، حتى أُخرج فأصبح من
الغائبين.

فرفعت نظري فإذا حَدَّثنا رسول الله ﷺ قائم، وكأنه كان يرى
كل ما وقع بيننا مواريا عيانه. فأخذني هيبة من رؤيته، ونهضت

أستقري مكانا يناسب شأنه، وقمتُ كالخادمين. فإذا دنوت منه ﷺ ونظرت إلى وجهه، فإذا وجهه قد رأيته من قبل.. ما رأيت وجهًا أحسن منه في الدنيا، فهو خاتم الحسينين والجميلين، كما أنه خاتم النبيين والمرسلين. ورأيت في يده كتابًا فإذا هو كتابي "المرآة"، الذي صنّفته بعد "البراهين". وكان قد وضع إصبعًا على محل فيه مدحُه، وإصبعًا على محل فيه مدح أصحابه، وقد قيّد لِحظَه بهما وهو يتبسم ويقول: هذا لي، وهذا لأصحابي، وكان ينظر إليه كالقارئين. ثم انحدرت طبيعتي إلى الإلهام، فأشار الرب الكريم إلى مقام من مقامات "المرآة"، وقال: "هذا الشاء لي". ثم استيقظت، فالحمد لله رب العالمين.

ورأيت في منام آخر كأني صرت عليًا ابن أبي طالب ﷺ، والناس يتنازعونني في خلافتي، وكنت فيهم كالذي يُضام ويُمتهن ويغشاه أدران الظنون وهو من المبرّئين. فنظر النبي ﷺ إلي.. وكنت أحوال نفسي أني منه بمنزلة الأبناء وهو من آبائي المكرمين. فقال وهو متحنن: "يا علي.. دَعْهُمْ وَأَنْصَارَهُمْ وَزَرَاعَتَهُمْ". فعلمت في نفسي أنه يوصيني بصرف الوجه من العلماء وترك تذكركم والإعراض عنهم وقطع الطمع والحنين من إصلاح هؤلاء المفسدين. فإنهم لا يقبلون الإصلاح، فصرف الوقت في نصحهم في حكم إضاعة الوقت، وطمعُ قبول الحق منهم كطمع العطاء من الضنين. ورأيت

أنه يجبني ويصدقني، ويرحم عليّ، ويشير إلي أن عكّازته معي وهو من الناصرين.

ورأيتني في المنام عين الله، وتيقنت أنني هو، ولم يبق لي إرادة ولا خطرة ولا عمل من جهة نفسي، وصرت كإناء منثلم بل كشيء تأبّطه شيء آخر وأخفاه في نفسه حتى ما بقي منه أثر ولا رائحة وصار كالمفقودين. وأعني بعين الله رجوع الظل إلى أصله وغيبوبته فيه، كما يجري مثل هذه الحالات في بعض الأوقات على المحبين.

وتفصيل ذلك أن الله إذا أراد شيئاً من نظام الخير جعلني من تجلياته الذاتية بمنزلة مشيئته وعلمه وجوارحه وتوحيده وتفريده، لإتمام مراده وتكميل مواعيده، كما جرت عادته بالأبدال والأقطاب والصدّيقين. فرأيت أن روحه أحاط علي واستوى علي جسمي، ولقني في ضمن وجوده حتى ما بقي مني ذرة وكنت من الغائبين. ونظرتُ إلى جسدي فإذا جوارحي جوارحه، وعيني عينه، وأذني أذنه، ولساني لسانه. أخذني ربي واستوفاني وأكد الاستيفاء حتى كنت من الفانين. ووجدت قدرته وقوته تفور في نفسي، وألوهيته تتموج في روحي، وضربت حول قلبي سرادقات الحضرة، ودقق نفسي سلطان الجبروت، فما بقيتُ وما بقي إرادتي ولا مُنأي، وانهدمت عمارة نفسي كلها، وتراءت عمارات رب العالمين. وانمحت أطلال وجودي، وعفت بقايا أنانيتي، وما بقيت ذرة من

هويتي، والألوهية غلبت عليّ غلبة شديدة تامة، وجُذبتُ إليها من شعر رأسي إلى أظفار أرجلي، فكنتُ لُبًّا بلا قشور، ودُهْنًا بغير ثفل وبذور، وبُوعِدَ بيني وبين نفسي، فكنتُ كشيء لا يُرى، أو كقطرة رجعت إلى البحر، فستره البحر بردائه وكان تحت أمواج اليم كالمستورين.

فكنت في هذه الحالة لا أدري ما كنتُ من قبل وما كان وجودي، وكانت الألوهية نفذت في عروقي وأوتاري وأجزاء أعصابي، ورأيت وجودي كالمتهويين. وكان الله استخدم جميع جوارحي، وملكها بقوة لا يمكن زيادة عليها، فكنت من أخذه وتناوله كأني لم أكن من الكائنين. وكنت أتيقن أن جوارحي ليست جوارحي، بل جوارح الله تعالى، وكنت أتخيل أني انعدمت بكل وجودي، وانسخت من كل هويتي، والآن لا منازع ولا شريك ولا قابض يزاحم. دخل ربي على وجودي، وكان كل غضبي وحلمي، وحلوي ومرّي، وحركتي وسكوني له ومنه، وصرت من نفسي كالخالين.

وبينما أنا في هذه الحالة كنت أقول: إنا نريد نظامًا جديدًا.. سماءً جديدة وأرضًا جديدة. فخلقتُ السماوات والأرض أولاً بصورة إجمالية لا تفريق فيها ولا ترتيب، ثم فرقته ورثبتها بوضع هو مراد الحق، وكنت أجد نفسي على خلقها كالقادرين. ثم خلقت السماء

الدنيا وقلت: إنا زَيْنَّا السماء الدنيا بمصاييح. ثم قلت: الآن نخلق الإنسان من سلالة من طين.

ثم انحدرتُ من الكشف إلى الإلهام فجرى على لساني: "أردتُ أن أستخلف فخلقتُ آدم، إنا خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، وكنا كذلك خالقين".

وألقي في قلبي أن الله إذا أراد أن يخلق آدم فيخلق السماوات والأرض في ستة أيام ويخلق كل ما لا بد منه في السماء والأرضين. ثم في آخر اليوم السادس يخلق آدم، وكذلك جرت عادته في الأولين والآخرين.

وألقي في قلبي أن هذا الخلق الذي رأيته إشارة إلى تأييدات سماوية وأرضية، وجعل الأسباب موافقة للمطلوب، وخلق كل فطرة مناسبة مستعدة للحوق بالصالحين الطيبين. وألقي في بالي أن الله ينادي كل فطرة صالحة من السماء ويقول: كوني على عُدَّة لنصرة عبدي وارحلوا إليه مسارعين. ورأيت ذلك في ربيع الثاني سنة ١٣٠٩ هـ. فتبارك الله أصدق الموحين.

ولا نعي بهذه الواقعة كما يعنى في كتب أصحاب وحدة الوجود، وما نعي بذلك ما هو مذهب الحلوليين، بل هذه الواقعة توافق حديث النبي ﷺ، أعني بذلك حديث البخاري في بيان مرتبة قرب النوافل لعباد الله الصالحين.

أيها الأعززة.. الآن أقص عليكم من بعض واقعات غيبية أظهرني ربي عليها ليجعلها آيات للطالبيين. فمنها أن الله رأى أبناء عمي، وغيرهم من شعوب أبي وأمي، المغمورين في المهلكات، والمستغرقين في السيئات، من الرسوم القبيحة والعقائد الباطلة والبدعات، ورآهم منقادين لجذبات النفس واستيفاء الشهوات، والمنكرين لوجود الله ومن المفسدين. ووجدهم أجهلَ خلقه بما يهدّب نفوسهم، وألدّهم للدنيا الدنية، وأذهلهم عن ذكر الآخرة، وأغفلهم عن جلال الله وسطوته وقهره وجوده وأمور العاقبة، والعاكفين على طواغيت الرسوم، الغافلين عن عظمة الله القيوم، والمنكرين للنبي المعصوم، ومن المكذبين. ورأى أنهم يأمرن بالمنكر والشرور، وينهون عن المعروف والخير المأثور، ويظيلون الألسنة بتوهين رسول الله ﷺ والاستخفاف به، وصاروا للإلحاد والارتداد من المشمرين. ورأى أنهم يسعون تحت الآثام إلى الآثام، ولا يخافون غضب الله الملك العلام، ولا يتوبون من سب رسول الله ﷺ بل كانوا عليه من المداومين. وكانوا لا يحفظون فروجهم، ولا يتركون دورقهم ودُرُوجهم، وكانوا على هجو الإسلام من المصرين. وكانوا يغضبون غضب السباع مع ظلمة المعاصي والظلم والإيقاع، كأثم سحاب ركام فيه شغب الرعد والبرق والصاعقة، ولا يخرج قطرة ودق من خلاله، فنعود بالله من شر المعتدين.

وبينما هم كذلك إذ اصطفاني ربي لتجديد دينه، وإظهار عظمة نبيه ونشر ربيًا باسمينه ﷺ، وأمرني لدعوة الخلق إلى دين الإسلام، وملة خير الأنام، ورزقني من الإلهامات والمكالمات والمخاطبات والمكاشفات رزقًا حسنًا، وجعلني من المحدثين. فبلغ هذا الخبر وهذه الدعوة وهذا الدعوى أبناء عمي وكانوا أشد كفرًا بالله ورسوله ومنكرين لقضاء الله وقدره ومن الدهريين. فاشتعل غضبهم حسدًا من عند أنفسهم، فطغوا وبغوا، واستدعوا الآيات استهزاءً، وقالوا لا نعلم إلهاً يكلم أحداً، أو يقدر أمرًا، أو يوحي إلى رجل وينبئ من شيء، إن هو إلا مكر مستمر قد انتاب من الأولين. وكله كيدٌ وخترٌ وذلاقةٌ لُسنٍ، فليأتنا بآية إن كان من الصادقين. وكانوا يستهزئون بالله ورسوله ويقولون - قاتلهم الله - إن القرآن من مفتريات محمد ﷺ وكانوا من المرتدين. وكان القوم كله معهم، ولا يمنعونهم من هذه الكلمات ولا يراجعون، فكانوا يزيدون يومًا فيومًا في كفرهم وطغيانهم، ولم يكونوا من المزدجرين.

فاتفق ذات ليلة أبي كنت جالسًا في بيتي، إذ جاءني رجل باكيًا، ففزعت من بكائه فقلت: أجاك نعي موت؟ قال: بل أعظم منه. إني كنت جالسًا عند هؤلاء الذين ارتدوا عن دين الله، فسبَّ أحدهم رسولَ الله ﷺ سبًّا شديدًا غليظًا ما سمعت قبله من فم كافر، ورأيتهم أنهم يجعلون القرآن تحت أقدامهم، ويتكلمون بكلمات

يرتعد اللسان من نقلها، ويقولون إن وجود البارئ ليس بشيء، وما من إله في العالم، إن هو إلا كذب المفتريين. قلت: أو لم حذرتك* من مجالستهم.. فاتق الله ولا تقعد معهم وكن من التائبين.

وكذلك سدرُوا في غلواتهم، وجمحوا في جهالاتهم، وسدلوا ثوب الخيلاء يوماً فيوماً حتى بدا لهم أن يشيعوا خزعبلاتهم، ويصطادوا السفهاء بتلبيساتهم، فكتبوا كتاباً كان فيه سب رسول الله ﷺ وسب كلام الله تعالى، وإنكار وجود البارئ عز اسمه، ومع ذلك طلبوا فيه آيات صدقي مبي وآيات وجود الله تعالى، وأرسلوا كتابهم في الآفاق والأقطار، وأعانوا بها كفره الهند، وعتوا عتواً كبيراً، ما سمع مثله في الفراعنة الأولين.

فلما بلغني كتابهم الذي كان قد صنفه كبيرهم في الخبث والعمر، ورأيتُ فيه سب رسول الله ﷺ سباً ينشق منه قلب المؤمنين، وتتقطع أكباد المسلمين، ورأيتُ فيه كلمات الأراذل والسفهاء، وتوهين الشريعة الغراء، وهجو كلام الله الكريم، فغضبت أسفاً، ونظرت فإذا الكلماتُ كلمات تكاد السماوات يتفطرن منها. فتحدرت عبرات من مذارف مآقي، وتصدت زفراقي إلى التراقي، وغلب علي بكاء وأنين. فغلقت الأبواب،

* سهو، والصحيح: أو ما حذرتك.

ودعوت الرب الوهاب، وطرحت بين يديه، وخررت أمامه ساجداً، وقَرِمْتُ إلى نُصْرته متضرعاً، وفعلتُ ما فعلتُ بلساني وجناني وعيناي ما لا يعلمها إلا رب العالمين. وقلتُ: يا رب.. يا رب انصر عبدك واخذل أعداءك. استجِبي يا رب استجِبي. إلامَ يُستهزأ بك وبرسولك؟ وحتّامَ يكذّبون كتابك ويسبّون نبيك؟ برحمتك أستغيث يا حي يا قيوم يا معين.

فرحم ربي على تضرعاتي وزفراقي وعبراتي، وناداني وقال: إني رأيت عصيانهم وطغيانهم، فسوف أضربهم بأنواع الآفات، أبيدهم من تحت السماوات، وستنظر ما أفعل بهم، وكنا على كل شيء قادرين. إني أجعل نساءهم أرامل، وأبناءهم يتامى، ويوتهم حرباً، ليدوقوا طعم ما قالوا وما كسبوا، ولكن لا أهلّكهم دفعة واحدة، بل قليلاً قليلاً لعلهم يرجعون، ويكونون من التوايين. إن لعنتي نازلة عليهم وعلى جدران بيوتهم وعلى صغيرهم وكبيرهم ونسائهم ورجالهم ونزيلهم الذي دخل أبواهم، وكلهم كانوا ملعونين. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقطعوا تعلقهم منهم، وبعُدوا من مجالسهم، فأولئك من المرحومين.

هذه خلاصة ما ألهمني ربي، فبلّغت رسالات ربي، فما خافوا وما صدقوا، بل زادوا طغياناً وكفراً، وظلّوا يستهزئون كأعداء الدين. فخاطبني ربي وقال: إنا سنريهم آيات مُبْكِيّة، وننزل

عليهم همومًا عجيبة، وأمراضًا غريبة، ونجعل لهم معيشة ضنكًا، ونصبّ عليهم مصائب فلا يكون لهم أحد من الناصرين.

فكذلك فعل الله تعالى بهم وأنقض ظهورهم بأثقال الهموم والديون والحاجات، وأنزل عليهم من أنواع البلايا والآفات، وفتح عليهم أبواب الموت والوفاة، لعلهم يرجعون أو يكونون من المتنبهين. ولكن قست قلوبهم، فما فهموا وما تنبهوا وما كانوا من الخائفين.

ولما قرب وقت ظهور الآية اتفق في تلك الأيام أن واحدًا من أعزّ أعزّتهم الذي كان اسمه "أحمد بيگ"، أراد أن يملك أرض أخته التي كان بعلها مفقود الخبر من سنين، وكان هو ابن عمي، وكانت الأرض من ملكه، فمال أحمد بيگ أن يخلص الأرض من أيدي أخته ويستخلصها، وأن يستخرجها من قبضتها ثم يقتنصها، وأرادت هي أن تهبها وتمنّ على أخيها. وكنا لها ورثاء جميعًا على سواء، فرضي أبناء عمي لوجه بهذا، بما كانت أختهم تحته وبما كانوا له أقرين. كذلك. نعم، قد كان لي حق غالبًا عليهم، ولأجل ذلك ما كان لهم أن يهبوا الأرض قبل أن أرضى وأكون من الرّاضين.

فجاءت امرأة أحمد بيگ تطرح بين يدي لأترك حقي، وأرضى بهذه الهبة، ولا أكون من المنازعين. فكدتُ أرحم عليها

وأهب الأرض لها تأليفاً لقلوبهم لعلهم يتوبون ويكونون من المهتدين. ثم خشيت شر الاستعجال، في مال الغائب الذي هو مفقود الخبر والحال، فخوفني تَبَعُهُ أثماره وما فيه من الوبال. فاستحسنتُ استفتاء العليم الحكيم، وترقّب إعلام الرب الرحيم، لأكون بَرِيًّا من غضب حق غائب، ولا أكون من ضيمي كقائب، وأخرج من الذين يظلمون شركاءهم ويتركونهم كخائب، وكانوا في حقوقهم راغبين، ولا يخافون أن يأخذوهم مفاجئين. فارتدعت عن الهبة ارتداع المرتاب، وطويت ذكره كطيّ السجلّ للكتاب، وكنت لحكم الله من المنتظرين.

وكنت أظن أن هذا يوشك أن يكون، وما كدت أن أظن أنها قضية قد أراد الله بها ابتلاء قوم كانوا من المعتدين، الذين غلبت عليهم المجون والخلاعة والإباحة والدهرية، والتحقوا بالكفار بل كانوا أشد كفرةً منهم وكانوا قومًا فاسقين. فقلت لامرأة أحمد بيگ: ما كنت قاطعًا أمرا حتى أوامر الله تعالى فيه، فارجمي إلى خدرك، وبلّغي ما سمعت أبا عُذرِك، وستجديني - إن شاء الله - من المخلصين.

فذهبت، وأتى بعلمها يسعى، فألح عليّ كالمضطرين، وكان يخبِط كخبط المصابين، حتى أبكاه كُرْبُهُ، وذوت سكينته، وفاءً إلى التضرع والاقشعرار، وكان أحشاؤه قد التهت بطوى العقار،

وكان يتنفس كالمخنوقين. ووجدته بوجده المتهالك كأنّ الهم سيجدله، والغم يُفِيح دمه، ويصول عليه الحزن كمغتالين. فلما رأيت صَعُوهُ وحزنه قد بلغ مراتب كماله، أخذني التحنن على حاله، وأشفقت على عينه ومبكاها، وقصدتُ أن أريه يد النصره وجدواها وعدواها، فأسرعت إلى تسليته كالمواسين. فقلت له: والله ما زاع قلبي وما مال، وما أنا من الذين يجبون المال، بل من الذين يتذكرون المال والآجال، ولستُ شحيحاً على النعم كالذين هم كالنعم، وإنني أرحم عليك وسأحسن إليك، وأعلم أن أنفَسَ القربات تنفيس الكربات، وأمتن أسباب النجاة مواساة ذوي الحاجات، وكنت لنصرتك من المتأهبين. ولكن أيم الله، لقد عاهدت الله على أني لا أميل إلى أمرٍ فيه شبهة، ولا أضع قدماً في موضع فيه زلة، ولا أتلو المتشابهات حتى أوامر ربّي فيها، فالآن أفعل كذلك وأرجو من الله خيراً، فلا تكوننّ من القانطين. وإني أرى أن المؤامرة أقرب للتقوى، لأن الوارث مفقود، وما نتيقن أنه مات أو هو حي موجود، فلا يجوز أن يستعجل في ماله كمال الميتين. فالأولى أن تقصُر عن القيل والقال، حتى أوامر ربي عالم الغيب ذا الجلال، وأستقري سبل اليقين. قال: ما مني خلاف، فلا يكن لوعدك إخلاف. قلت: كل وعدي مشروط بأمر رب العالمين. فذهب وكان من وجده الذي تيمه كالمعتلين.

فتممت حجرتي، والتزمت زاوية بقعتي، أتجشم إلى الله تعالى ليظهر عليّ أمره، ويفلق حبَّ الحقيقة من نواتها، ويُري لبَّ الأمر وقشره. فوالله ما أمسكتُ ريثما يُعقد شسع، أو يُشدّ نسع، إذا الوسن أسرى إلى آماقي، وألهمتُ من الله الباقي، وأنبئت من أخبار ما ذهب وهلي قط إليها وما كنت إليها من المستدنين. فأوحى الله إلي أن اخطبُ صبيته الكبيرة لنفسك، وقل له: ليصاهرَك أولاً ثم ليقتبس من قبسك، وقل: إني أمرت لأهبك ما طلبتَ من الأرض، وأرضاً أخرى معها، وأحسن إليك بإحسانات أخرى، على أن تُنكحني إحدى بناتك التي هي كبيرتها، وذلك بيني وبينك فإن قبلت فستجدني من المتقبلين. وإن لم تقبل فاعلم أن الله قد أخبرني أن إنكاحها رجلاً آخر لا يبارك لها ولا لك، فإن لم تزدجر فيصبّ عليك مصائب، وآخر المصائب موتك، فتموت بعد النكاح إلى ثلاث سنين، بل موتك قريب، ويرد عليك وأنت من الغافلين. وكذلك يموت بعلمها الذي يصير زوجها إلى حولين وستة أشهر، قضاءً من الله، فاصنع ما أنت صانعه، وإني لك لمن الناصحين. فعبس وتولى وكان من المعرضين.

ثم كتبت إليه مكتوباً بإيماء منّاني، وإشارة رحماني، وتمّقت فيه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد.. فاسمع أيها العزيز! ما لك اتخذت جدِّي عبثاً، وحسبتَ تَبْرِي حَبِثاً؟ ووالله ما أريد أن أشقَّ عليك، وستجدني إن شاء الله من المحسنين. وها أنا أكتب بعهد موثق، فإنك إن قبلتَ قولي على رغم أنف قبيلتي، فأفرض لك حصّة في أرضي وخميلي، ويرتفع الخلاف والنزاع بهذه الوصلة من بيننا، ويصلح الله قلوب شعبي وعشيرتي، وفي كل مُنيّتك أقتفي صَعْوَك، وأزيل قَشْفَكَ، فتكون من الفائزين لا من الفائزين.

والحق والحق أقول.. إني أكتب هذا المكتوب بخلوص قلبي وجناني، فإن قبلتَ قولي وبياني، فقد صنعتَ لطفاً إليّ، وكان لك إحساناً عليّ، ومعروفاً لدي، فأشكرك وأدعو زيادةَ عمرك من أرحم الراحمين. وإني أقيم معك عهدي، أني أعطي بنتك ثلثاً من أرضي ومن كل ما ملكته يدي، ولا تسألني خُطّة إلا أعطيك إياها، وإني من الصادقين. ولن تجد مثلي في رعاية الصلة ومودة الأقارب وحقوق الوصلة، وتجدي ناصر نوائبك، وحامل أثقالك، فلا تضيع وقتك في الإباء، ولا تستنكر حَبِّك ولا تكونن من الممترين.

وها أنا كتبت مكتوبي هذا من أمر ربي لا عن أمري، فاحفظْ مكتوبي هذا في صندوقك فإنه من صندوق أمين. والله يعلم أنني فيه صادق، وكل ما وعدت فهو من الله تعالى، وما قلت إذ قلت ولكن

أنطقني الله تعالى بإلهامه، وكانت هذه وصية من ربي فقضيتها. ما كان لي حاجة إليك وإلى بنتك، وما ضيق الله علي، والنساء سواها كثيرة، والله يتولى الصالحين. فلا تنظر إلى مكتوبي بعين الارتياب، فإنه كتبته بإمحاض النصح والتزام الصدق والصواب، ودع الجدال وانتظر الآجال، فإن مضى الأجل وما حصحص الصدق فاجعل حبلا في جيدي، وسلاسلًا في أرجلي، وعذبني بعذاب لم يعذب به أحد من العالمين.

كنتم قد طلبتم آية من ربي، فهذه آية لكم. إنه يأخذ المنكرين من مكان قريب، ويختار ما كان أقرب التعذيات في حقهم، وأدنى من أفهامهم، وأشد أثرًا في أعراضهم وأجسامهم، ليري المحتالين ضعفهم ويكسر كبر الضائمين.

هذا ما كتبتُ إلى أحمد بيك في سنة ١٣٠٤، فأعرض وأبى، وسكت وبكت، وعاف وُصِّلتي وصلتي، وضاق ذرعًا من نميقتي، وكان من المعادين. ومعه عاداني قومه وعشيرته الذين كانوا أقربين. وكانوا يعافون أن يزوجوا بناتهم أقارب مثلي، أو يزوجوا امرأً تحته امرأة أخرى. وكانت بنته هذه المخطوبة جاريةً حديثة السن عذراء، وكنت حينئذ جاوزت الخمسين. وكان جذوة المعادة متطايرة، ونارها ملتهبة، فزَيّن القدر لَنَصَبِهِ ووَصَبِهِ هذه الموانع في عينيه، فصار من المرتدعين. وكان يعلم صدقي وعفتي، وباللَّهِ ثقتي ومِقتي، ولكن

غلبت عليه الشَّقْوَة وأنساه عاهتُه نباهتي، فكان من المنكرين المعرضين.

وما عراني حزن من ذلك الإنكار، بل فرحت فرحة المطلق من الإِسار، وهزة الموسر بعد الإِحسار، وكنت كتبتُ إليه بإيماء الله القهار، فعلمتُ أن الله أتم حجته عليه وعلى عشيرته ولم يبق له الاعتذار، وعلمت أنه سيجعل كلماتي حِسرَاتٍ على قلوبهم فسيذكرونها باكين.

ثم غلب قلبه ذعر وضجر، وفجعه إلهامي، فمكث خمس سنين لا يزوج أحداً بنته ولا يخطب خيفة من وعيد الله، وصار كالمتشحطين. فلما أنكحها فما مضى عليه إلا قريباً من ستة أشهر إلا وقد أخذه الله وسلط عليه داءً كالأرضة، وفوضه إلى قبضة المرضة، وعَرَكة الوعكة، إلى أن أذهب حواسه الأنف، واستشفه التلف، حتى نضى عنه قدر الله ثوب الحيا، وسلمه إلى أبي يحيى، ومات بميتة محسرة، ونارٍ تطلع على أفئدة، ورحل بالكربة والغم الغابر، وكم حِسرَاتٍ في بطون المقابر، وإن في هذا لآيات للمنكرين.

وعرا أهله وأقاربه ضجر ومصيبة، كانوا يضربون وجوههم من وبالِ الدُرْحَمِين. وهم الذين كانوا يقولون ما نعلم ما الله، إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين. فوجدوا جدًّا عظيماً

لنفوت لقياه، وانقطاع سقياه، وبما رأوا أن الإلهام قد أرى سناه، وتراءت من كشف ساقه ساقاه، وظهرت من بدء أمره منتهاه، فكانوا مع حزنهم متخوفين. ما تمضمضت مقلتهم بنومها في تلك الأيام، ولا تمخضت ليلتهم عن يومها لغلبة هذا الظلام، وأحلبهم نزيل المصائب، فأحضره شِوَاة الكبد وماء الأنين. فلما بلغهم نعي الحمام، ووعي اللاطمات على وجوههم والحاطمات هامهم بذكر الراحل عن المقام، انثالوا إلى عقوته موجفين، وإلى دويرته الخريصة موفضين. فأسالوا الغروب، وعطّوا الجيوب، وصكّوا الخدود، وشجّوا الرؤوس، وكانت النساء قلن في نياحتهم: قد أصبح اليوم عدونا، الذي أنبأنا قبل الوقت، من الصادقين.

فتفكروا أيها الطلاب.. أهذا أضغاث أحلام؟ أهذا افتراء إنسان؟ وأسألوا أهل المتوفى الذين يتندمون في أنفسهم، ويكون على ميتهم، ويقولون: يا ويلنا إنا كنا خاطئين. وهنأني ربّي وقال: (إنا مهلكو بعليها كما أهلكنا أباهها، ورادّوها إليك. الحق من ربك فلا تكونن من الممترين. وما نؤخره إلا لأجل معدود. قل تربصوا الأجل وإني معكم من المتربصين. وإذا جاء وعد الحق.. أهذا الذي كذبتم به أم كنتم عمين). هذا ما بشرت من ربي، فالحمد لله رب العالمين.

ورأيت في منام كأني قائم في موطن وفي يدي سيف مسلول، قائمه في أكفي وطرفه الآخر في السماء، وله برق ولمعان، يخرج منه نور كقطرات متنازلة حيناً بعد حين. وإني أضرب السيف شمالاً وجنوباً، وبكل ضربة أقتل ألوفاً من أعداء الدين.

ورأيت في تلك الرؤيا شيخاً صالحاً اسمه عبد الله الغزنوي، وقد مات من سنين، فسألته عن تأويل هذه الرؤيا، فقال: أما السيف فهي الحجج التي أعطاك الله ونصرك بالدلائل والبراهين. وأما ضربك إياه شمالاً وجنوباً فهو إراءتك آيات روحانية سماوية وأدلة عقلية فلسفية للمنكرين. وأما قتل الأعداء فهو إفحام المخاصمين، وإسكاتهم منها. هذا تأويل رؤياك وأنت من المؤيدين. وقد كنت في أيامي التي كنت في الدنيا أرجو وأظن أن يخرج رجل بهذه الصفات، وما كنت أستيقن أنه أنت وكنْتُ عن أمرك من الغافلين.

ومنها أن الله بشري وقال: "سمعتُ تضرعاتك ودعواتك، وإني معطيك ما سألت مني وأنت من المنعمين. وما أدراك ما أعطيك؟ آية رحمة وفضل وقربة وفتح وظفر. فسلام عليك أنت من المظفرين. إنا نبشرك بغلام اسمه عنموایل* وبشير. أنيق الشكل دقيق العقل ومن المقربين. يأتي من السماء، والفضل ينزل بنزوله. وهو نور

* هذا اللفظ ورد في كتاب آخر لسيدنا أحمد عليه السلام بقراءة "عمّانوثيل، ويبدو أنه الأصح. انظر "أنجم آهم"، الخزائن الروحانية ج ١١ ص ٦٢.

ومبارك وطيب ومن المطهرين. يُفشي البركات، ويغذي الخلق من الطيبات، وينصر الدين. ويسمو ويعرج ويرقى، ويعالج كل عليل ومرضى، وكان بأنفاسه من الشافين. وإنه آية من آياتي، وعَلَمٌ لتأييداتي، ليعلم الذين كذبوا أبي معك بفضلِي المبين، وليجيء الحق بمجيئه، ويزهق الباطل بظهوره، وليتجلى قدرتي ويظهر عظمتي، ويعلو الدين ويلمع البراهين، ولينجو طلاب الحياة من أكف موت الإيمان والنور، وليبعث أصحاب القبور من القبور، وليعلم الذين كفروا بالله ورسوله وكتابه أنهم كانوا على خطأ ولتستبين سبيل الجرمين. فسيعطى لك غلام ذكي من صلبك وذريتك ونسلك ويكون من عبادنا الوجيهِين. ضيف جميل يأتيك من لدنا. نقي من كل دَرَنٍ وشَيْنٍ وشَنارٍ وشرارة، وعيب وعار وعرارة، ومن الطيبين. وهو كلمة الله. خُلِقَ من كلمات تمجيدية. وهو فهيم وذهين وحسين. قد ملئ قلبه علماً، وباطنه حِلْمًا، و صدره سلماً، وأعطي له نفسٌ مسيحي، وبورك بالروح الأمين. يوم الاثنين. فواهاً لك يا يوم الاثنين، يأتي فيك أرواح المباركين. ولد صالح كريم ذكي مبارك. مظهر الأول والآخر. مظهر الحق والعلاء، كأن الله نزل من السماء. يظهر بظهوره جلال رب العالمين. يأتيك نور ممسوح بعطر الرحمن، القائم تحت ظل الله المنان. يفك رقاب الأسارى وينجى المسجونين. يعظم شأنه، ويُرفع اسمه وبرهانه، ويُنشر ذكره ويرجانه

إلى أقصى الأرضين. إمام هُمام، يبارك منه أقوام، ويأتي معه شفاء ولا يبقى سقام، ويتنفع به أنام. ينمو سريعاً سريعاً كأنه عِردام، ثم يرفع إلى نقطته النفسية التي هي له مقام. وكان أمراً مقضياً، قدره قادر علام. فتبارك الله خير المقدرين. ❖

❖ قد أخبر رسول الله ﷺ أن المسيح الموعود يتزوج ويولد له. ففي هذا إشارة إلى أن الله يعطيه ولدًا صالحًا يشابه أباه ولا يأباه، ويكون من عباد الله المكرمين. والسر في ذلك أن الله لا يبشر الأنبياء والأولياء بذرية إلا إذا قدر توليد الصالحين. وهذه هي البشارة التي قد بُشرت بها من سنين ومن قبل هذه الدعوى، ليعرفني الله بهذا العلم في أعين الذين يستشرفون وكانوا للمسيح كالمجلوذين.

وأما دفن المسيح في قبر رسول الله ﷺ كما جاء في الحديث فهذا سرٌّ معكوم ورمز محتوم، لا يعرفه إلا الذين يعلمون من ربه من الملهمين المعززين. وحقيقته أن الله تعالى قد جعل قبر نبيه ﷺ مقرونا بالجنة، فهما صنوان من شجرة نور الحق، لا ينفك أحدهما من الآخر، وقربان للمعات مخفية وأصلة إلى الواصلين. وقد جرت عادة الله تعالى أنه يُدني قبر رسول الله ﷺ من المؤمن المتوفي كما يدني الجنة رزقاً منه وهو خير الرازقين. فإذا مات عبد له قرب ومصافاة بالله تعالى فيُدني من قبر رسول الله ﷺ ومن الجنة بقدر هذا القرب والمصافاة في الدين. فالذي هو أشد قرباً ومصافاةً هو أشد قرباً بقبر رسول الله، كأنه داخل فيه وضجيع خاتم النبيين. فخذ هذه التمرة، وإياك والجمرة، واعلم أن المسيح قد أنزل على هذه الأرض كما خرج فيها الدجال، فلا تكن من المشائمين. منه.

ورأيت في المنام كأني أسرجتُ جوادِي لبعض مرادي، وما أدري أين تأهَّبِي وأيِّ أمرٍ مطلي، وكنتُ أحسُّ في قلبي أنني لأمر من المشغوفين. فامتطيتُ أجردِي باستصحاب بعض السلاح، متوكلاً على الله كسنة أهل الصلاح، ولم أكن كالمبتاطئين. ثم وجدتني كأني عثرتُ على خيلٍ قصدوا متسلحين داري لإهلاكي وتباري، وكأنهم يجيئون لإضرارِي منخرطين. وكنتُ وحيداً، ومع ذلك رأيتني أُنِي لا ألبس من خوذ، غيرَ عُدَدٍ وجدتها من الله كعُود، وقد أنفتُ أن أكون من القاعدين والمتخلفين الخائفين. فانطلقتُ مجدداً إلى جهة من الجهات، مستقرياً إرْبِي الذي كنتُ أحسبه من أكبر المهمات وأعظم الثوبات، في الدنيا والدين، إذ رأيت ألوفاً من الناس، فارسين على الأفراس، يأتون إلى متسارعين. ففرحت برؤيتهم كالحبَّاس، ووجدتُ في قلبي حَولاً للحجاس، وكنتُ أتلوهم كتلو الصيادين. ثم أطلقت الفرس على آثارهم، لأدرك من فصِّ أخبارهم، وكنتُ أتيقن أنني لمن المظفرين. فدنوتُ منهم فإذا هم قوم دَرُوس البِزَّة كريبه الهيئة، ميسمهم كميمس المشركين، ولباسهم لباس الفاسقين، ورأيتهم مطلقين أفراسهم كالمغربين. وكنتُ أقيّد لحظي بأشباحهم كالرائين. وكنتُ أسارع إليهم كالكُماة، وكان فرسي كأنه يُزجيه قائد الغيب كإزجاء الحمولات بالحدأة، وكنتُ على طلاوة إقدامه كالمستطرفين. فما لبثوا أن رجعوا متدهداً إلى خميلتي، ليزاحموا

حولي وحيلتي، ولُيْتلفوا ثماري ويزعجوا أشجاري، وليشتوا عليها
الغارات كالمفسدين. فأوحشني دخولهم في بستاني، وأدهشتُ
بإغراقهم وولوجهم فيها، فضجرت ضجرًا شديدًا وقلق جناني،
وشهدتُ تواسمي أنهم يريدون إبادة أثماري، وكسر أغصاني. فبادرتُ
إليهم، وظننت أن الوقت من مَحاشي اللأواء، وصارت أرضي
موطن الأعداء، وأوجست في نفسي خيفةً كالضعيفين المزؤودين.
فقصدت الحديقة لأفتش الحقيقة. فلما دخلتُ حديقتي، واستشرفت
بتحديق حديقتي، واستطلعت طَلَع مقامهم، رأيتهم من مكان بعيد في
بجوحة بستاني ساقطين مصروعين كالميتين. فأفرخَ كربي وآمنَ
سري، وبادرت إليهم جَدلاً وبأقدام الفرحين. فلما دنوت منهم
وجدتهم أصبحوا فرسى كموت نفس واحد ميتين ذليلين
مقهورين. سلخت جلودهم، وشجّت رؤوسهم، وذُعت حلوقهم،
وقطعت أيديهم وأرجلهم، وصُرعوا كالممزقين، واغتيلوا كالذين
سقط عليهم صاعقة فكانوا من المحرّقين. فقمّت على مصارعهم عند
التلاقي، وعبراتي يتحدرن من مآقي، وقلتُ: يا رب، روجي فداء
سبيلك، لقد تبتَ عليّ ونصرت عبدك بنصرةٍ لا يوجد مثله في
العالمين. رب، قتلتهم بأيديك قبل أن قاتلَ صرْعان، وحاربَ حِثنان،
وبارزَ قِتلان، تفعل ما تشاء وليس مثلك في الناصرين. أنت أنقذتني
ونجيتني، وما كنت أن أُنجى من هذه البلايا لولا رحمتك يا أرحم

الراحمين. ثم استيقظت وكنت من الشاكرين المنيبين، فالحمد لله رب العالمين.

وأولت هذه الرؤيا إلى نصره الله وظفره بغير توسط الأيدي والأسباب، ليتمّ علي نعماءه ويجعلني من المنعمين. والآن آيين لكم تأويل الرؤيا لتكونوا من المبصرين.

فأما شجّ الرؤوس وذعطُ الحلق فتأويله كسر كبر الأعداء وقصم ازدهائهم وجعلهم كالمنكسرين.

وأما تقطيع الأيدي فتأويله إزالة قوة المباراة والمماراة، وإعجازهم وصدّهم عن البطش وحيل المقاومات، وانتزاع أسلحة الهيجاء منهم، وجعلهم مخدولين مصدودين.

وأما تقطيع الأرجل فتأويله إتمام الحجة عليهم وسدّ طريق المناص، وتغليق أبواب الفرار وتشديد الإلزام عليهم، وجعلهم كالمسجونين. وهذا فعل الله الذي قادر على كل شيء، يعذب من يشاء ويرحم من يشاء، ويهزم من يشاء ويفتح لمن يشاء، وما كان له أحد من المعجزين.

إن الذين كذبوا رسله، وأذوا عباده، وكفروا بآيات الله ولقائه، أولئك يئسوا من رحمته، وأرداهم ظنهم، وأهلكهم كبرهم، فحبطت أعمالهم وصاروا هالكين.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله، ولا تتخلفوا عن داعي الله، وكونوا
مع الصادقين. لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحتُ لكم، فكيف آسى
على قوم لا يحبون الناصحين؟

ذكر بعض الأنصار شكراً لنعمة الله الغفار

ما زلتُ مذُأمرتُ من حضرة الرب، وأُحييت من الحي ذي العجب، أحنّ إلى عيان أنصار الدين، ولا حنين العطشان إلى الماء المعين. وكنت أصرخ في ليلي ونهاري، وأقول يا ربّ من أنصاري؟ يا رب من أنصاري؟ إني فرد مهين.

فلما تواتر رفع يد الدعوات، وامتلاً منه جوّ السماوات، أُجيب تضرعي، وفارت رحمة رب العالمين. فأعطني ربي صديقاً صدوقاً، هو عين أعواني، وخالصة خلصاني، وسلالة أجبائي* في الدين

* **حاشية:** ومن الأبناء في الله منشي زين الدين محمد إبراهيم بمبي، والمولوي غلام إمام منيبوري، وحي في الله المولوي غلام حسن بشاوري، ومحيي الدين الشريف تونتي كورن، والسردار محمد ولايت خان المدراسي، وحي في الله السيد النجيب المولوي محمد أحسن، وحي في الله المولوي عبدالكريم السيالكوئي - سلمه الله - الذي أيدي وأمدني في ترجمة مكتوبي هذا وهو من المحبين المخلصين، وهو في هذه الأيام عندي. كان لهوى ملاقاتي واستحسان مقاماتي أرغب في الاغتراب واستعذب السفر الذي هو قطعة من العذاب، فجزاه الله وثبته على سبيل الصدق والصواب، ورحمه وهو خير الرحمين. ومنهم ميرزا خدا بخش وهو في هذه الأيام عندي. شاب صالح

المتين. اسمه كصفاته النورانية نور الدين. هو بهيروى مولدًا، وقُرشي فاروقي نسبًا، من سادة الإسلام ومن ذرية النجيبين الطيبين. فوصلتُ بوصوله إلى الجذُل المَفروق، واستبشرت به كاستبشار السيد (ﷺ) بالفاروق، ولقد أنسيتُ أحزاني، مذ جاعني ولقَّاني، ووجدته في سبل نصرة الدين من السابقين. وما نفعني مال أحدٍ كماله الذي آتاه لوجه الله، ويؤتي من سنين. قد سبق الأقران في

مخلص، شرح الله صدره لحجي، وأترع ذيله من ثمرات الإخلاص، وثبته مع الثابتين. ومنهم حجي في الله الحكيم فضل الدين البهيري، وحجي في الله الشيخ رحمة الله الكجراتي، وحجي في الله السيد أمير علي شاه، والسيد حامد شاه. وحجي في الله المنشي غلام القادر المعروف بالفصيح السيالكوئي. وحجي في الله النواب محمد علي خان رئيس مالير كوتله، وحجي في الله السيد محمد تفضل حسين أتاوي، وحجي في الله السيد الهادي، وحجي في الله محمد خان، والمنشي محمد أرورا، والمنشي ظفر أحمد كفورتلوي، وحجي في الله المولوي محمد مردان علي، والمولوي محمد مظهر علي حيدرآبادي، وحجي في الله المولوي برهان الدين الجهلمي، وحجي في الله مير ناصر نواب الدهلوي، وحجي في الله القاضي ضياء الدين قاضيكوئي، وحجي في الله المولوي السيد محمد عسكري خان، وحجي في الله القاضي غلام المرتضى، وحجي في الله عبد الحكيم خان، وحجي في الله رشيد الدين خان، وحجي في الله السيد خصلت علي شاه، وحجي في الله المنشي رستم علي، وحجي المنشي عبد الله السنوري، والميرزا محمد يوسف بيگ السامانوي، والمنشي محمد حسين المراد آبادي، والقاضي خواجه علي اللدهيانوي. هؤلاء من أحبائي. منهم من قصصنا ومنهم من لم نقصص، وكلهم من المخلصين.

البراعة والتبرع والجدوى، ومع ذلك حلمه أرسخ من رضى. نبذ العُلُقَ لله تعالى، وجعل كل اهتشاشه في كلام رب العالمين. رأيت البذلَ شِرْعَتَه، والعلم نُجْعَتَه، والحلم سيرته، والتوكل قوته، وما رأيت مثله عالماً في العالمين، ولا في خُلُقِ مِمْلَاقٍ من المنعمين، ولا في الله والله من المنفقين. وما رأيت عبقريةً مثله مذ كنت من المبصرين.

ولما جاءني ولاقاني ووقع نظري عليه، رأيت آيةً من آيات ربي، وأيقنت أنه دُعائي الذي كنت أداوم عليه، وأشربَ حَسِّي ونَبَّأني حَدَسِي أنه من عباد الله المنتخبين. وكنت أكره مدح الناس وحمدهم وبثَّ شمائلهم، خوفاً من أنه يضر أنفسهم، ولكنني أرى أنه من الذين انكسرت جذباتهم النفسية، وأزيلت شهواتهم الطبيعية، وكان من الآمنين.

ومن آيات كماله أنه لما رأى جروح الإسلام، ووجده كالغريب المستهام، أو كشجر أزعجَ من المقام، أشعرَ همًّا، وانكدر عيشه غمًّا، وقام لنصرة الدين كالمضطرين. وصنف كتباً احتوت على إفادة المعاني الوافرة، وانطوت على الدقائق المتكاثرة، ولم يسمع مثلها في كتب الأولين. عباراتها مع رعاية الإيجاز مملوءة من الفصاحة، وألفاظها في نهاية الرشاقة والملاحة، تسقي شراباً طهوراً للناظرين. ومثل كتبه كحبر يضمخ بعبير، ثم يُلَفَّ فيه من درر ويواقيت ومسك كثير، ثم يُرْتَن فيه العنبر ويجعل كله كالعجين.

ولا شك أنها جامعة ما تفرق في غيرها من الفوائد، فاقت ما عداها لكثرة ما حواها من الشوارد والزوائد، ولجذب القلوب بجمال الأدلة والبراهين. طوبى لمن حصلها وعرفها وقرأها بإمعان النظر.. فلا يجد مثلها من معين. ومن أراد حلَّ غوامض التنزيل، واستعلام أسرار كتاب الرب الجليل، فعليه بالاشتغال بهذه الكتب وبالعكوف عليها، فإنها كافلة بما يبغيه الطالب الذهين. يُصبي القلوب أريج ريحانها، والثمرات مستكثرة في أغصانها، ولا شك أنها جنة قُطوفها دانية، لا يُسمع فيها لاجية، نُزُلٌ للطيبين. منها: "فصل الخطاب لقضايا أهل الكتاب"، ومنها: "تصديق البراهين". تناسق فيها جزيل المعاني مع متانة الألفاظ ولطافة المباني، حتى صارت أسوة حسنة للمؤلفين، ويتمنى المتكلمون أن ينسجوا على منوالها، وترنمت بالثناء عليها ألسنة النحريرين. جواهرها تفوق جواهر النحور، ودررها فاقت درر البحور، وإها أحسم دليل على كمالاته، وأقطع برهان على ريبا نفحاته، وستعلمون نبأها بعد حين.

قد شمر المؤلف الفاضل فيها لتفسير نكات القرآن عن ساق الجدِّ والعناية، واعتنى في تحقيقه باتفاق الرواية والدراية، فوَاهَا لهُممه العالية، وأفكاره الوقادة المرصية، فهو فخر المسلمين. وله ملكة عجيبة في استخراج دقائق القرآن، وبث كنوز حقائق الفرقان، ولا شك أنه ينور من أنوار مشكاة النبوة، ويأخذ نوراً من نور النبي ﷺ

بمناسبة شأن الفتوة، وطهارة الطين. امرؤ عجيب، وفى غريب،
تتفجر أنوار الأسرار بلمحة من لمحاته، وتتدفق مناهل الأفكار
برشحة من رشحاته، وهذا فضل الله يهب لمن يشاء وهو خير
الواهبين.

لا ريب في أنه نخبة المتكلمين، وزبدة المؤلفين. يشرب الناس من
عُباب زلاله، ويشتري كشراب طهور قوارير مقالته، هو فخر البررة
والخيرة وفخر المؤمنين. في قلبه أنوار ساطعة من اللطائف والدقائق،
والمعارف والحقائق، والأسرار وأسرار الأسرار ولمعات الروحانيين.
إذا تكلم بكلماته النظيفة الطيبة، وملفوظاته البديعة المرتجلة المبتكرة،
فكانه يصبي القلوب والأرواح بالأغاني اللطيفة، والمزامير الداوودية
الذيفة، ويجيء بخارق مبين. يخرج الحكمة من فمه عند سرد
الحديث وسوق الكلام، كأنها عُب مندفقة متوالية متصاعدة إلى
أفواه السامعين.

وإني قد أطلقتُ أجردَ فكري إلى كمالاته، فوجدته وحيدَ الدهر
في علومه وأعماله وبرّه وصدقاته، وأنه لودعني ألمعي، نخبة البررة،
وزبدة الخيرة. أعطي له السخاء والمال، وعُلقت به الآمال، فهو
سيد خدام الدين، وإني عليه من الغابطين. ينزل أهل الآمال
بساحته، ويستنزلون الراحة من راحته، فلا يلوي عذاره عن
ازداره، وأمّ داره، وينفح بعُرفه من وافاه من المملقين.

وهو يجد للقياني بكمال ميل الجنان، كوجَدِ المثري بالعقيان، يأتي من بلاد نازحة على أقدام المحبة واليقين. فتى طيب القلب، يحبنا ونحبه، يسعى إلينا بجهد طاقة، ولو وجد فواقَ ناقة. انثال الله عليه من جوائز المجازاة، ووصائل الصلات، وأيد ببقائه الإسلام والمسلمين. له بقلي عُلُقٌ عجيبة، وقلبه نَفوح غريبة. يختار في حبي أنواع الملامة والتعنيف، ومفارقة المؤلف والأليف. ويتسنى له هجر الوطن لسماح كلامي، ويدعُ التذکر للمعاهد لبّ مقامي، ويتبعني في كل أمري كما يتبع حركة النبض حركة التنفس، وأراه في رضائي كالفانين.

إذا سئل أعطى ولم يتباطأ، وإذا دعي إلى خطّة فهو أول الملبين. قلبه سليم، وخلقه عظيم. كرمه كغزارة السحب، وصحبته يُصلح قلوب المتقشفين. ووَثْبُهُ على أعداء الدين وثبة شبلٍ مثار، قد أمطر الأحجار على كفار، ونقّر عن مسائل الويديين ونقّب، ونزل في بقعة النوكى وعاقب، فجعل سافل أرضهم عاليها، وثقّف كتبه تثقيف العوالي لإفصاح المكذبين. فأخزى الله الويديين على يده، فكأن وجوههم أُسِفّت رمادا، وأشربت سوادًا، وصاروا كالميتين. ثم أرادوا الكرة، ولكن كيف يحيا الأموات بعد موتهم، فرجعوا كالمخفقين. ولو كان لهم نصيب من الحياء لما عادوا، ولكن صار

الوقاحة كالتحجيل في حلية هذا الجيل، فهم يصلون كمنذوحين.

والفاضل النبيل الموصوف من أحب أحبائي، وهو من الذين بايعوني وأخلصوا معي نية العقد، وأعطوني صفقة العهد، على أن لا يؤولوا شيئاً على الله الأحد، فوجدته من الذين يراعون عهدهم ويخافون رب العالمين. وهو في هذا الزمن الذي تتطير فيه الشرور، كالماء المعين الذي ينزل من السماء، ومن المعتنمين. ما آنت في قلب أحد محبة القرآن كما أرى قلبه مملوًا بمودة الفرقان. شغفه الفرقان حبًا، وفي ميسمه يبرق حبُّ آيات مبین. يُقذف في قلبه أنوار من الله الرحمن، فيرى بها ما كان بعيدًا محتجبًا من دقائق القرآن، ويغبطني أكثر مآثره، وهذا رزق من الله، يرزق عباده كيف يشاء وهو خير الرازقين.

قد جعله الله من الذين ذوي الأيدي والأبصار، وأودع كلامه من حلاوة وطلاوة لا يوجد في غيره من الأسفار. ولفطرته مناسبة تامة بكلام الرب الجليل، وكم من خزائن فيه أودعت لهذا الفتى النبيل. وهذا فضل الله لا منازع له في أرزاقه، فمن عباده رجال ما أعطي لهم بُلاله، ورجال آخرون أعطي لهم غمراً، وما هم به من المتعللين. ولعمري إنه امرؤ مواطن عظيم، صدق فيه قول من قال: "لكل علم رجال، ولكل ميدان أبطال"، وصدق فيه قول قائل: "إن في

الزوايا خبايا، وفي الرجال بقايا". عافاه الله ورعاه، وأطال عمره في طاعته ورضاه، وجعله من المقبولين.

إني أرى الحكمة قد فاضت على شفتيه، وأنوار السماء قد نزلت لديه، وأرى تواتر نزولها عليه كالمتضيفين. كلما توجه إلى تأويل كتاب الله بجمع الأفكار، فتح ينابيع الأسرار، وفجر عيون اللطائف، وأظهر بدائع المعارف، التي كانت تحت الأستار، ودقق ذرات الدقائق، ووصل إلى عروق الحقائق، وأتى بنور مبين. يمدّ العقلاء أعناقهم في وقت تقاريره متسلمين لإعجاز كلامه وعجائب تأثيره. يُري الحق كسيكة الذهب، ويُزيح شبهات المخالفين.

إن الوقت كان وقت صراصر الفلسفة، بل فسُدَّ وخبث، وململ كلِّ حدثٍ ما حدث، وكان العلماء معروق العظم صفر الراجحة من دولة العلوم الروحانية، وجواهر الأسرار الرحمانية، فقام هذا الفسق وسقط على أعداء الرسول ﷺ كسقوط الشهب على الشياطين. فهو كحدقة العيون في العلماء، وفي فلك الحكمة كالشمس البيضاء. لا يخاف إلا الله، ولا يرضى بالآراء السطحية، التي منبتها النجد غير خور، بل يبلغ فهمه إلى أسرار دقيقة المآخذ المخفية في أرض غور. فله درّه، وعلى الله أجره. قد أعاد الله إليه دولة منهوبة، وهو من الموفقين. والحمد لله الذي وهب لنا هذا الحبِّ في حينه ووقته وأيام ضرورته، فنسأل الله تعالى أن يبارك في عمره وصحته وثروته،

ويعطينا أوقاتا مستجابة للأدعية له ولعشيرته، ويشهد فراستي أن هذه الاستجابة* أمر محقوق لا مظنون، ونحن في كل يوم من الآملين. والله إني أرى في كلامه شأنا جديداً، وأراه في كشف أسرار التنزيل وفهم منطوقه ومفهومه من السابقين. وإني أرى علمه وحلمه كالجبلين المتناوحين.. ما أدري أيهما فاق الآخر، إنما هو بستان من بساتين الدين المتين. رب أنزل عليه بركات من

* **حاشية:** اعلم أن استجابة الدعاء سر من أسرار حكمة ربانية خصص بها حزب الروحانيين. وقد جرت عادة الله أنه يسخر عالم المواليد وتأثيرات أجرام السماء وقلوب الناس عند دعوات أوليائه المقربين. فرمما يستحيل الهواء الردي من عقد همهم إلى صالحة طيبة، والصالحة إلى فاسدة وبائية، والقلوب القاسية إلى طبائع لينة متحننة، والمتحننة إلى قاسية غليظة، بإذن المتصرف في السماء والأرضين. وإذا اشتدت حاجة ولي الله إلى ظهور شيء معدوم، ويتوجه لظهوره باستغراق تام، فيحدث هذا الشيء بعقد همته، وكذلك إذا توجه الولي لإعدام الموجود فإذا هو من المعدومين. وذلك أصل الخوارق لا تحسها حاسة حكماء الظاهر، ولا يذوق طعمها عقول الفلاسفة. وإن للأولياء حواسا آخر تنزل من تلقاء الحق. فإذا رزقوا من تلك الحواس فيتحلون بحلل مبتكرة، ويسمعون أغنية جديدة، ما سمعت أذن نظيرها في العالمين. يصفى عقولهم بكمال الصفاء، ويؤتون علم ذرائع الاستبساط والاجتهاد. يُعجب العقول دقة غموضها، ويكفر بها كل غبي غير ذهين. وكان الله معهم في كل حالهم، وكانت يده على مهماتهم وأفعالهم. إذا غلقوا باباً في الأرض فتعلق في السماء، وإذا فتحوا فتفتح في الأفلاك. دارت السماوات بدورة عزيبتهم، وقلب الأمور بتقلب همهم، ويرى الله خلقه عزتهم ووجاهتهم ليرغب المتفطنين إليهم والسعيدين منه.

السماء، واحفظه من شرور الأعداء، وكن معه حيثما كان، وارحم عليه في الدنيا والآخرة، وأنت أرحم الراحمين. آمين ثم آمين. والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، هو وليي في الدنيا والآخرة. أنطقني روحه، وحركتني يده، فكتبت مكتوبي هذا بفضلته وإيمائه وإلقائه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهو القادر في السماء والأرضين.

رب، كتبت هذا المكتوب بقوتك وحولك ونفحات إلهامك، فالحمد لك يا رب العالمين. أنت محسني ومنعمي، وناصري وملهمي، ونور عيني، وسرور قلبي، وقوة إقدامي. أموت وأنا شاكر نعمائك بحالي وقالي وكلامي. يشكرك عظامي في قبوري، وعجاجي في جدتي، وروحي في السماء. غلبت نعمتك على شكري، واستغرقت في نعمائك عيني وأذني وجنابي ورأسي وجوارحي وظاهري وباطني، وأنت لي حصن حصين. أعوذ بك من آفات الأرض والسماء، ومن كل حاسد صوّاغٍ باللسان، ورواغٍ من الحق العيان، ومن كل لسانٍ سليط، وغيظٍ مستشيط، ومن كل ظلمة وظلام، ومن كل من يكون من المسيرة إليك من المانعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

القصيدة

هذه القصيدة أنيقة رشيقة، مملوءة من اللطائف الأدبية والفرائد العربية، في مدح سيدي وسيد الثقلين، خاتم النبيين، محمد الذي وصفه الله في الكتاب المبين، اللهم صلِّ وسلِّم عليه إلى يوم الدين. وليست هذه من قريحتي الجامدة، وفطنتي الخامدة، وما كانت رويّتي الناضبة ضليع هذا المضمار، ومنبع تلك الأسرار، بل كل ما قلت فهو من ربي الذي هو قريبي، ومؤيدي الذي هو معي في كل حين، الذي يطعمني ويسقيني، وإذا ضللت فهو يهديني، وإذا مرضت فهو يشفيني. ما كسبتُ شيئاً من مُلح الأدب ونوادره، ولكن جعلني الله غالباً على قادره. وهذه آية من ربي لقوم يعلمون، وإني أظهرتها وبينتها لعلّي أُجزى جزاء الشاكرين، ولا أُلحَق بالذين لا يشكرون.

يا عينَ فيضِ الله والعرفانِ يسعى إليك الخلقُ كالظَّمآنِ
يا بحرَ فضلِ المنعمِ المنانِ تهوي إليك الزُّمُرُ بالكيزانِ
يا شمسَ مُلكِ الحسنِ والإحسانِ نورَتَ وجهَ البرِّ والعُمرانِ

قومٌ رأوك وأمةٌ قد أُحبرتُ
 يبكون من ذكر الجمال صبايةً
 وأرى القلوبَ لدى الحناجرِ كربةً
 يا من غدا في نوره وضيائه
 يا بدرنا يا آيةَ الرحمنِ
 إنني أرى في وجهك المتهللِ
 وقد اقتفك أولو النهى وبصدقهم
 قد آثروك وفارقوا أحبابهم
 قد ودَّعوا أهواءهم ونفوسهم
 ظهرت عليهم بيناتُ رسولهم
 في وقت ترويقِ الليالي نُوروا
 قد هاضهم ظلمُ الأناصِ وضيئهم
 نهب اللئامُ نشوبهم وعقارهم
 كسحوا بيوتَ نفوسهم وتبادروا
 قاموا بإقدامِ الرسولِ بغزوهم
 فدمُ الرجالِ لصدقهم في حبهم

من ذلك البدرِ الذي أصباني
 وتألماً من لوعة الهجرانِ
 وأرى الغروبَ تُسيلها العينانِ
 كالتَّيِّرينِ ونورَ المَلَّوانِ
 أهدى الهداةِ وأشجعَ الشُّجعانِ
 شأناً يفوقُ شمائلَ الإنسانِ
 ودَّعوا تذكراً معهدِ الأوطانِ
 وتباعدوا من حلقةِ الإخوانِ
 وتبرَّؤوا من كلِّ نَشْبٍ فانِ
 فتمزَّقَ الأهواءُ كالأوثانِ
 واللهُ نجَّاهم من الطوفانِ
 فتَثَبَّتوا بعنايةِ المنانِ
 فتَهَلَّلوا بجواهرِ الفرقانِ
 لتمتَّعَ الإيقانِ والإيمانِ
 كالعاشقِ المشغوفِ في الميدانِ
 تحتَ السيوفِ أريقَ كالقربانِ

جاءوك منهوين كالعريانِ
 صادفتهم قومًا كروثٍ ذلَّةً
 حتى أنشئى برُّ كمثل حديقةٍ
 عادت بلادُ العُربِ نحوَ نضارةٍ
 كان الحجازُ مغازلَ الغزلانِ
 شيئانِ كان القومُ عميًّا فيهما
 أما النساءُ فحُرِّمَتْ إنكاحُها
 وجعلتَ دسكرةَ المدامِ مُحربًا
 كمَ شاربٍ بالرَّشْفِ دَنًّا طافحًا
 كمَ محدثٍ مستنطقِ العيدانِ
 كمَ مستهامٍ للرَّشوفِ تعشَّقا
 أحييتَ أمواتَ القرونِ بجلوةٍ
 تركوا العَبوقَ وبدَّلوا من ذوقه
 كانوا برناتِ المِثاني قبلها
 قد كان مرَّعُهم أغاني دائمًا
 ما كان فكرٌ غيرَ فكرِ غواني
 فسرتَّهم بِمَلاحِفِ الإيمانِ
 فجعلتَّهم كسبيكةِ العِقيانِ
 عَذِبِ الموارِدِ مِثْمِرِ الأَعْصانِ
 بعد الوَجى والمَحَلِّ والخِسرانِ
 فجعلتَّهم فانينَ في الرحمنِ
 حَسُو العُقارِ وكثرةَ النِّسوانِ
 زوجًا له التَّحريمُ في القرآنِ
 وأزلتَ حانتها من البلدانِ
 فجعلتَّه في الدِّينِ كالنِّشوانِ
 قد صار منك محدثِ الرحمنِ
 فجذبته جَدْبًا إلى الفرقانِ
 ماذا يماثلك بهذا الشَّانِ
 ذوقَ الدِّعاءِ بليلةِ الأحرانِ
 قد أُحصروا في شُحِّها كالعاني
 طورًا بغيدي تارةً بدنانِ
 أو شُرْبِ راحٍ أو خيالِ جِفانِ

كانوا كمشغوفِ الفسادِ بجهلهم
 عيبانِ كانِ شعارهم من جهلهم
 فطلعتَ يا شمسَ الهدى نُصحاً لهم
 أرسلتَ من ربِّ كريمٍ محسنِ
 يا للفتى ما حسنه وجماله
 وجهُ المهيمنِ ظاهرٌ في وجهه
 فلذا يُحبُّ ويستحقُّ جماله
 سُجِّحٌ كريمٌ باذلٌ خلُّ التُّقى
 فاق الورى بكماله وجماله
 لا شكَّ أنَّ محمداً خيرُ الورى
 تمتَّ عليه صفاتُ كلِّ مزيةٍ
 واللهِ إنَّ محمداً كَرَدَافَةٌ
 هو فخرُ كلِّ مطهرٍ ومقدسٍ
 هو خيرُ كلِّ مقربٍ متقدمٍ
 والطلُّ قد يبدو أمامَ الوابلِ
 بطلُّ وحيدٌ لا تطيشُ سهامُهُ
 راضين بالأوساخ والأدرانِ
 حُمقُ الحمارِ ووثبةُ السرحانِ
 لتُضيئهم من وجهك النوراني
 في الفتنة الصمَّاءِ والطغيانِ
 رِياه يُصبي القلبَ كالريحانِ
 وشؤونه لَمَعَتْ بهذا الشانِ
 شَغَفًا به من زمرةِ الأخدانِ
 خرقٌ وفاقٌ طوائفَ الفتیانِ
 وجلاله وجنانه الريانِ
 ريقُ الكرامِ ونخبةُ الأعيانِ
 خُتِمَتْ به نِعْماءُ كلِّ زمانِ
 وبه الوصولُ بسُدَّةِ السلطانِ
 وبه يُباهي العسكرُ الروحاني
 والفضلُ بالخيراتِ لا بزمانِ
 فالطلُّ طلُّ ليس كالتَّهتانِ
 ذو مصمياتٍ موبقٍ الشيطانِ

هو جنةٌ إني أرى أثماره وقطوفه قد ذلت لجناني
ألفيته بحر الحقائق والهدى ورأيتُه كالدرِّ في اللَّمعانِ
قد مات عيسى مُطرقاً ونبينا حيُّ، وربِّي، إنه وافاني
والله إني قد رأيتُ جمالَهُ بعيونِ جسمي قاعداً بمكاني
ها إن تظنيت ابنَ مريمَ عائشاً فعليك إثباتاً من البرهانِ
أفأنت لاقيتَ المسيحَ بيقظةٍ أو جاءك الأنبياءُ من يقظانِ
أنظرُ إلى القرآنِ كيف يبيِّنُ أفأنت تُعرض عن هدى الرحمنِ
فاعلم بأن العيشَ ليس بثابتٍ بل مات عيسى مثلَ عبدٍ فانِ
ونبينا حيُّ وإني شاهِدٌ وقد اقتطفتُ قطائفَ اللُّقيانِ
ورأيتُ في ريعانِ عمري وجهَهُ ثم النبيُّ بيقظتي لاقاني
إني لقد أُحييتُ من إحيائه واهًا لإعجازٍ فما أحياني!
يا ربِّ صلِّ على نبيِّك دائماً في هذه الدنيا وبعثِ ثانِ
يا سيِّدي قد جئتُ بابك لاهفاً والقومُ بالإكفارِ قد آذاني
يفري سهامك قلبَ كلِّ محاربٍ ويشجُّ عزمك هامةَ الثعبانِ
للهِ درُّك يا إمامَ العالمِ أنت السَّبوقُ وسيِّدُ الشَّجعانِ
أنظرُ إليَّ برحمةٍ وتحنُّنٍ يا سيِّدي أنا أحقرُ الغلمانِ

يا حِبُّ إنك قد دخلتَ محبَّةً في مُهَجِّي ومدارِكي وجَناني
 مِن ذِكْرِ وجهِك يا حديقةَ بهجتي لَمْ أَخُلْ في لحظٍ ولا في آنِ
 جسمي يطيرُ إليك مِن شوقٍ عَلا يا ليتَ كانت قوَّةُ الطَّيرانِ

القصيدة المبتكرة المحبرة

التي خاطري أبو عذرها، وقد أودعتها أشعاراً
تشفي صدور المتفكرين، وتروي أوام الصادين

بمطّلعٍ على أسرارِ بلي بعالمٍ عييتي في كلِّ حالي
بوجهٍ قد رأى أعشارَ قلبي بمستمعٍ لصرّخي في الليالي
لقد أرسلتُ من ربِّ كريمٍ رحيمٍ عند طوفان الضلالِ
وقد أعطيتُ برهاناً كرمحٍ وثقّفناه تثقيفَ العوالي
فلا تقفُ الظنونَ بغيرِ علمٍ وخفّ أخذَ المحاسبِ ذي الجلالِ
تري آياتِ صدقي ثم تنسى لحاك الله، مالك لا تُبالي
تعالِ إلى الهدى ذلاًّ خضوعاً إلى ما تكتسي ثوبَ الدلالِ
وإن ناضلتني فترى سهامِي ومثلي لا يفرُّ من النضالِ
سهامي لا تطيش بوقتِ حربٍ وسيفي لا يغادر في القتالِ
فإن قاتلتني فأريك أني مقيم في ميادين القتالِ
أبالإيذاء أترك أمرَ ربّي ومثلي حين يؤذَى لا يبالي
وكيف أخاف تهديدَ الخناثي وقد أعطيتُ حالاتِ الرجالِ

ألا إني أقاومُ كلَّ سهمٍ وأقلي الإكتنانَ عن النَّبالِ
فإنَّ حربًا فحربٌ مثل نارٍ وإن سلماً فسِلْمٌ كالزُّلالِ
وحرِي بالدلائل لا السَّهامِ وقولي لهذمُ شاجُ القُدالِ
وفاقَ السيفِ نُطقي في الصِّقالِ قد اغتلتُ المكفِّرَ كالغزالِ
ولم يزلِ اللثامُ يكفِّروني إلى أن جاء نصرَةُ ذي الجلالِ
وقد جادلتنِي ظلماً وزوراً وجاوزتَ الديانةَ في الجدالِ
ولو قبلَ الجدالِ سألتَ مني جُذبتَ إلى الهدى قبلَ الوبالِ
لنا في نصرَةِ الدِّينِ الميتينِ مَساعٍ في الترقِّي والكمالِ
هدائي خالقي نهجاً قويمًا وربَّاني بأنواعِ النَّوالِ
لقد أعطيتُ أسرارَ السِّرائرِ فسَلَّ إن شئتَ من نوعِ السُّؤالِ
وقد غوصتُ في بحرِ الفناءِ فعدتُ وفي يدي أهبى اللَّالِي
رأيتُ بفضلِ ربِّي سُبُلَ ربِّي وإن كانت أدقَّ من الهلالِ
وكم سرُّ أراني نورُ ربِّي وآياتٍ على صدقِ المقالِ
وعِلْمٍ يهَرَنُّ عقولَ ناسٍ ورأيٍ قد علا قننَ الجبالِ
سعتُ وما وئيتُ بشوقِ ربِّي إلى أن جاءني رِيًّا الوصالِ
وقد أشربتُ كأسًا بعد كأسٍ إلى أن لاحَ لي نورُ الجمالِ

وقد أُعْطيتُ ذوقًا بعد ذوقٍ ونِعْمَاءَ المَحَبَّةِ وَالسَّدَالِ
 وَجَدْتُ حَيَاةَ قَلْبِي بعد موتي وعَادتُ دَوْلِي بعدَ الزَّوَالِ
 لُفَاطَاتُ المَوَائِدِ كَانَ أَكْلِي وَصِرْتُ اليَوْمَ مِطْعَامَ الأَهَالِي
 أُرِيدُ بِفَضْلِهِ يَوْمًا فَيَوْمًا وَأُصْلِي قَلْبَ مُنْتَظِرِ الرُّبَالِ
 أَلَا يَا حَاسِدِي خَفَ قَهْرَ رَبِّي وَمَا أَلُوكَ نُصْحًا فِي المَقَالِ
 فَلَا تَسْتَكْبِرَنَّ بِفَوْرِ عُجْبٍ وَكَمْ مِّنْ مُّزْدَهٍ صَيْدُ التَّكَالِ
 أَلَا يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدِّيَّةِ تَذَكَّرْ يَوْمَ قُرْبِ الأَرْتِحَالِ
 سَهَامُ المَوْتِ تَفْجَأُ، يَا عَزِيزِي وَلَوْ طَالَ المَدَى فِي الأَتِقَالِ
 هَذَاكَ اللهُ قَدْ جَادَلْتَ بِغَضًا وَمَا فَكَّرْتَ فِي قَوْلِي وَقَالِي
 وَكَمْ أَكْفَرْتَنِي كَذِبًا وَزورًا وَكَمْ كَذَّبْتَ مِن زَيْغِ الخِيَالِ
 وَإِنِّي قَدْ أَرَى قَدْ ضَاعَ دِينُكَ فَكُفُّوا رَبَّأُ بِهِ قَبْلَ الرِّحَالِ
 حَيَاتُكَ بِالتَّغَافُلِ نَوْعُ نَوْمٍ وَأَيَّامُ المَعَاصِي كَاللَّيَالِي
 وَلَسْتُ بِطَالِبِ الدُّنْيَا كَزَعْمِكَ وَقَدْ طَلَّقْتُهَا بِالأِعْتِزَالِ
 تَرَكْنَا هَذِهِ الدُّنْيَا لَوَجْهِهِ وَآثَرْنَا الجَمَالَ عَلَى الجِمَالِ
 وَإِنَّكَ تَزْدَرِي نُطْقِي وَقَوْلِي وَلَوْ صَادَفْتَهُ مِثْلَ اللَّيَالِي
 فَلَا تَنْظُرِي إِلَى زَحْفِ فَإِنِّي نَظَّمْتُ قَصِيدَتِي بِالأَرْتِحَالِ

القصيدة

أُمرتُ من الله الكريمِ الممجدِ
وهذا كتابي قد تلالاً وجهُهُ
فقيمتُ ولم أكسلُ ولم أتبدلِ
تألُّؤَ سَمَطِي لؤلؤٍ وزَبْرَجَدِ
أياً ذُكاءٍ أو بريقُ العَسجدِ
وترى نورَ العرفان فيه كأنه
وإنني أرى فيه الشفاءَ لطالب
وأودعته أسرارَ علمٍ وحكمة
وكم من لآلي فيه من سرِّ الهدى
وقد بانَ وجهُ الحق فيه وضاحاً
وإنني من الله الكريمِ مجدِّدُ
ووالله إني من نخيل خميلة
وقد خَصَّني ربِّي وألقى رداءه
وقد ذُللتُ نفسي بتوفيق خالقي
نما كلُّ علمٍ صالحٍ في قريحتي
فجددتُ توحيداً عفّت آثارُهُ
ومنه مباراتي وسيفي وأجردي
وحبِّي بيستاني يروح ويعتدي
عليّ فما تدرُونَ ما تحت بُرْجدي
فليس كمثلي فوقَ مورٍ معبدِ
كأشجارِ موليِّ الأسرةِ أعيدِ
وطهرتُ أرضَ الدين من كل جَلَسَدِ

وقومي يعاديني غروراً ونخوةً
 متى أدنُ رحماً يناً عني ويعد
 يسبّ وما أدري على ما يسبني
 أيكفرُ من يُعلي لواءَ محمدٍ (ﷺ)
 يزاحمني من كلِّ باب فتحتها
 لنصرِ رسولِ اللهِ حبيّ وسيدي
 وقد أكفروني قبلَ كشفِ حجاجهم
 ويعلم ربّي صدقَ قولي ومقصدي
 وربّ وليّ الله برُّ مقربُ
 وأيقظتهم رحماً عليهم وشفقةً
 ولستُ بتاركُ أمرِ ربي مخافةً
 وكيف أخافُ هيقَ قومٍ مفندٍ
 وكيف يؤثّرُ حجّتي في نفوسهم
 تبينتِ الآياتُ حقاً فما رأوا
 وإني أبنتُ لهم دلائلَ مقصدي
 وقد استتروا كالطير في وكناتها
 فما قاموني في مصافٍ وما اهدوا
 وكيف أعالجُ قلبَ وجهٍ مسودّ
 فقلنا احسُّوا لا خوفَ منكم لمهتدي
 غبيّ شقيّ في البطالةِ * مفسدٍ

* هذا لفظ ذو معنيين: المعنى الأول فظاهر، والمعنى الثاني فهو إشارة إلى بلدة اسمه "بتاله"، ويسكن فيها فتان مفسد اسمه شيخ محمد حسين، وإليه أشرت في هذه القصائد التي اقتضبتها، ورسالي التي كتبتها. وهذا

ويعلون دِعْصَ الرملِ هربًا وكلهم
 كَرَبْرَبِ ثورِ الوحشِ يخشون جَدَجَدِي
 وقلت لهم يا قوم خَفْ قَهْرَ قَادِرٍ
 وَأَقْصِرْ وَمَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّشَدِّدِ
 فما تركوا أوزارَ شرٍّ وفتنةٍ
 وما خافوا نيرانَ يومٍ مُبَدَّدِ
 وقد تركوني نخوةً وتباعدوا
 وليس فؤادي عن هواهم مُبْعَدِ



امرئ مفلس لم يُرْضَعْ ثديَ الأدبِ ولم يُرْزَقْ من العلومِ التُّخَبِ، وهو من الذين يؤثرون الثرائدَ وَيَدْعَوْنَ الفرايدَ، ومع ذلك هو عدو الحق حبيث الأنفاسِ دينُ التُّحاسِ ثعبانِ الأخفاسِ مع الفحيجِ والانتهاسِ، أصَلَّتْ لسانه عليَّ كالعَضْبِ الجِرَّازِ والفاَسِ، وكشَّرَ عن أنيابه كالذيابِ عند الافتراسِ، وإنه صفر اليد من العلومِ وأزْمُولَ كناسِ الوسواسِ وزاملته الخنَّاسُ. سردتُ عليَّ كتابي فأبى، ودنوتُ ترحمًا فتحامى. فتاقت نفسي الآن إلى أن أفضَّ حتمَ سرِّه الأخصى، ليعلم الناس أن الحق مبين والشيخ شَيْطِينٌ. منه